الفصل الرابع

عرض البيانات وتحليلها

أ. ابن عطاء الله السكندري

١. اسمه ولقبه ونسبه

هو الشيخ الإمام العارف القدوة المحقق تاج العارفين لسان المتكلمين إمام وقته وأوحد عصره حجة السلف وإمام الخلف قدوة السالكين وحجة المتقين الإمام تاج الدين أبو الفضل وأبو العباس أحمد بن محمد الشاذلي بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسبا ، المالكي مذهباً الإسكندري دارا، الشاذلي طريقة [١]

وذكر المترجمون له أنه من أهل الاسكندرية، وينتسب اليها فيقال:" الإسكندرانى: " أو " السكندري " أو " الإسكندري.[٢]

وانفرد ابن عجيبة بذكر اسمه ونسبه بشيء من التفصيل، فقال : هو الشيخ الإمام تاج الدين، وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسن بن عطاء الله، الجذامي نسبا، المالكي مذهبا، الأسكندري دارا، القاهري مزارا، الصوف

---

[١] ينظر ترجمته في ذيول العبر للذهبي، (دار الكتب العلمية ، ط أولى, ١٤٠٥ هـ, ١٩٨٥ م)، ٢١-٢٢.

[٢] أبو الوفى الغنيمى التفتازاني، ابن عطاء الله السكندري وتصوفه، (دار الكتاب العربي، ١٩٥٨) وهو المرجع الذي اعتمدنا عليه هنا بصفه أساسية.

حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجية زمانه، وتخمة عصره وأوانه، المتوفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مائة[٣].

و يبدو أن أفراد أسرته التي نشأ فيها كانوا مشتغلين بالعلوم الدينية وتدريسها لأن جده الشيخ أبا محمد عبد الكريم بن عطاء الله السكندري كان فقيها معروفا في عصره، ولأن ابن عطاء الله نشا كجده فقيها مشتغلا بالعلوم الشرعية، وكان طمح إلى بلوغ منزلته.

وهكذا يتبين أن ابن عطاء الله "اسكندى الولد ومصر الموطن عربي الأصل ولهذا قيمة كبري من حيث إنه يمثل التصوف المصر في القرن السابع الهجري من ناحية، ولأنه يدحض من ناحية أخرى ما يزعمه بعض الباحثين في التصوف الإسلامي من المستشرقين من أن العرب لم يكونوا أهلا للتصوف الذي هو في زعمهم نتاج للفكر الفارسي أو الهندي. وكان رجلا صالحا يتكلم على كرسي في الجامع بكلام حسن وله ذوق ومعرفة بكلام الصوفية وآثار السلف وله عبارة عذبة لها وقع في القلوب وكانت له مشاركة في الفضائل.[٤]

٢. مولده وطلبه العلم

---

[٣] أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، *إيقاظ الهمم في شرح الحكم*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١١٦٠ – ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ – ١٨٠٩ م)، ١٠

[٤] الوافي بالوفيات، *صلاح الدين الصفدي*، تحقيق: جلال الأسيوطي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ج.)، ٢١٤.

ولد ابن عطاء الله بمدينة الإسكندرية حيث كانت تقيم أسرته وحيث أما كان جده مشتغلا بتدريس الفقه.

أما السنة التي ولد فيها فلت تعرف على وجه التحديد اذ لم يتعرض واحد من كتاب التراجم لذكرها. ولد ابن عطاء الله ونشأ في النصف الثاني من القرن السابع الهجرى وتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ.

وتميزت حياته بثلاثة أطوار: طوران منها بمدينة الإسكندرية وطور ثالث و أخير بمدينة القاهرة. فالطور الأول بمدينة الاسكندرية هو الواقع قبل عام ٦٧٤ هـ. وقد نشأ فيه ابن عطاء الله طالبا لعلوم عصر الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول و نحو وبيان وغيرها علي خيرة اساتذتها في ذلك الوقت. أما العطور الثاني فهو يبدأ من سنة ٦٧٤ هـ وهي السنة التي صحب فيها أبا العباس المرسي وينتهي بارتحاله منها إلى القاهرة وفيه تعرف على طريقة الشاذلي ولم بنقطع في نفس الوقت عن طلب العلوم الدينية ثم اشتغل بتدريسها حينا. وأما الطور الثالث فيبدأ بانتحاله من الاسكندرية إلى القاهرة ليقيم بها وينتهي بوفاته بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ وهو طور نضوجه واكتماله كصوفي وفقيه.

وكانت مدينة الإسكندرية في عصر ابن عطاء الله مركزا هاما من المراكز العلمية بالقطر المصر وكان بها كثير خيرة العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول وسائر العلوم العربية والاسلامية، إلى جانب كونها زاخرة بجملة من شيوخ الصوفية الصالحين.

فابن عطاء الله قد نشأ بمدينة الاسكندرية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وقد تتلمذ على كبار علماء عصره في مختلف العلوم منها تفسير وحديث وفقه وأصول على الشيخ ناصر الدين بن المنير (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م) كما تلقى علم الكلام والفلسفة على الشيخ شمس الدين الأصفهاني (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م) [٥]بحيث يمكن القول بأنه قد تهيأت له باتصاله بهم ثقافه لغوية فقهية أصولية شاملة إلى جانب ثقافته الصوفية التي تكون له بصحبته لشيخه أبي العباس المرسي.

كان رحمه الله عالما لجامع أنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك.[٦] وكان رحمه الله متكلما على طريقة أهل التصوف واعظا انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه وكان شاذلي الطريقة ينتمي للشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ الطريقة عن أبي العباس المرسي رحمه الله عن الشيخ أبي الحسن رحمه الله ولقد كان الشيخ هو المتكلم على لسان الصوفية في زمانه بل كان أعجوبة زمانه في كلام التصوف كما يقول ابن فرحون[٧]

٣. اشتغاله

---

[٥] محمد أحمد درنيقة، *الطريقة الشاذلية وأعلامها*، (المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط: ٢٠٠٩م)، ١٠٤-١٠٥.

[٦] إبراهيم بن على فرحون، *الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب*، (دار التراث للطبع والنشر، ١٩٧٢)، ١٣١.

[٧]. نفس المراجع... ص ١٣١.

بعد وفاة الشيخ أبي العباس سنة ٦٨٦ هـ أصبح ابن عطاء الله ورث معلمه والقائم على طريقته والدعوة لها من بعده وكان قبل وفاة المرسي ايضا قد أصبح أملا للتصدر لتدريس الفقه بمدينة الإسكندرية ثم رحل من الإسكندرية إلى مدينة القاهرة ليقيم فيها وليشتغل بالتدريس والوعظ ولعله استوطنها قبل وفاة شيخه أبي العباس المرسي سنة ٦٨٦ هـ.

٤. وفاته وقبره ومسجده

بعد حياة خصصت لدعوة إلى طريق الله وتربية السالكين توفي صوفينا السكندري في شهر جمادى الآخرة عام ٧٠٩ هـ.

وكانت وفاته بالمدرسة المنصورية بالقاهر ويرجح الدكتور التفتازاني أن ابن عطاء الله قد تولى التدريس في هذه المدرسة: وأنه قد وافته منيبته بها وذكر المناوي أن ابن عطاء الله دفن بالقرافة بقرب بني الوفا[٨].

ولابن عطاء الله مجال بنسب إليه بالإسكندرية ذكره على مبارك في خططه وقال: إنه مشهور بالإسكندرية واعتيره من المساجد الجامعة فيها.

٥. مصنفاته

صنف ابن عطاء الله السكندري عدة مصنفات في التصوف، منها:

أ. الحكم العطائية : وقد نالت شروحها الداني والبعيد وقرأها الكبير والصغير وما زالت مرجعا وافيا في لون متميز من ألوان السلوك الإنساني والمعراج

---

٨ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ٢١٤/٦.

إلى حضرة القدس الأعلى".[٩] عالج في كتابه هذا مختلف الموضوعات التي تحدث عنها الصوفية ولعل أهمها: "كيف نستدل على الله صلتنا بالله التجريد والأسباب، الشهرة والخمول، دقائق الرياء..."[١٠]

وممن أفرد حكم ابن عطاء الله، نجد: «الشيخ زروق، سماه: "الحكم العطائية للقطب الجامع للشريعة والحقيقة"، وهو شرح ممزوج أوله الحمد لله الذي شرف عباده، وقد ذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتب بعضها على بعض، فكل كلمة منها توطئة لما بعدها...، وشرحها أيضا محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي الشاذلي، سماه: "غيث المواهب العلية"، ومنها أيضا شرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الأقصراني المواهبي الشاذلي الحنفي، سماه: "أحكام الحكم في شرح الحكم"، وشرح الشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي، سماه: "الدرر الجوهرية"، وشرحها أيضا صفي الدين أبي المواهب، ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي...».[١١]

ب. لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن: وهو عبارة عن مقدمة وعشرة وأبواب وخاتمة المقدمة في تفضيل

---

[٩] أبي العباس أحمد بن محمد زروق، *الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ الحكم العطائية*، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١٠.

١٠ محمد أحمد درنيقة، *الطريقة الشاذلية وأعلامها*، ١٠٧.

١١ حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (بيروت: دار الفكر الاسلامى الحديث ٢٠٠٠)، ٥٢٠/١.

النبي صلى الله عليه وسلم على جميع بني آدم وذكر أقسام الولاية وما تبقى تعريف بشيخه أبي العباس وبعلمه ومجرباته وما فسره من الآيات والأحاديث وما ذكره من كلام أهل الحقائق ودعائه وشعره...، "ولهذا المؤلف قيمة كبرى في التعريف بآداب الطريقة الشاذلية، وقد حفظ ابن عطاء تراث الشاذلية الروحي من الضياع".[١٢]

ج. التنوير في إسقاط التدبير: ذكر ابن عطاء الله أنه ألفه بمكة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه. قال في مقدمته: "إذا طالعه المريد الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية".[١٣]

د. تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس.

ه. عنوان التوفيق في آداب الطريق.

و. مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح.

ز. القول المجرد في الاسم المفرد.[١٤]

ح. أحكام الحقيدة.

ط. حزب النور وتمام السرور.

ي. القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد.

ب. لمحة عن الحكم العطائية

---

١٢ محمد أحمد درنيقة، *الطريقة الشاذلية وأعلامها*، ١٠٥.

١٣ نفس المراجع، ص ١٠٦.

١٤ زروق، *الفتوحات الرحمانية*، ١٠-١١.

١. تصنيفها

تعتبر الحكم العطائية المنسوبة لابن عطاء الله السكندري أنها من أول ما صنفه من مصنفاته. واقتبس منها فقرات في كثير من مصنفاته الأخرى مثل التنوير في اسقاط التدبير ولطائف المنن وتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس وغير ذالك.

قد ألف السكندري الحكم العطائية قبل ٢٦٢ هـ وهو العام توفي فيه أبو العباس المرسي وبذلك تكون هذا الكتاب من مؤلفات الشباب.

ولما عرض ابن عطاء الحكم على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: "لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء للغزالى وزيادة"[١٥]. فابن عطاء الله قد بين بهذه الحكم طريق القوم مع الإيجاز في العبارة والوضوح في المعنى وحسن الديباجة وروعة التصوير.

٢. خصائصها الأدبية الفنية

تميز أسلوب ابن عطاء في هذه الحكم بالفصاحة والبلاغة والدقة والبراعة وحسن الصياغة وجميل العبارة مع الإيجاز الجامع والاختصار النافع والتصوير الدقيق الرائع.

والأساليب التي تعتمد على اختيار الألفاظ وانتقاء العبارات والتنسيق بينها حتى تؤثر في نفس السامع أو القارئ.

---

[١٥]. خليفة، *كشف الظنون*، ١٢٣/٤.

ويعني ابن عطاء الله في حكمة بالإكثار من الأخيلة والتشبيهات التي تصور المعنى وتجسمه وتبرزه في أجمل صورة كما في قوله : "ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط، لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا وقوله في عبارة موجزة: ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع. كما يعني بالمحسنات اللفظية ذات الإيقاع والجرس الموسيقى مثل السجع والجناس. ويستخدم أحيانا المقابلة لايضاح المعنى وابرازه، كما في قوله : معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا.[١٦]

ومن نفائس كتاب الحكم العطائية يجده القارئ فيه من فوائد سلوكية ومعارف ذوقية وتربية علمية عملية للنفوس وطهارة للقلوب بأسلوب لطيف تملئ فيه وجوها من اوجه البلاغية التي تتأثر لقارئه تأثيرا رائعا عميقا في اختيار ألفاظه وأسلوبه و بهجت نظمه وصياغه مع سهولة كلمه وجزالته من أجل هذا اهتم به العلماء والدراسين والصوفيين والشراح حتى بعض المستشرقين.[١٧] في عصور مختلفة إلى كتابة شروح لهذا الكتيّب الصغير في حجمه والكبير في آثاره ونفعه.

ج. تحليل البيانات عن الحكم العطائية

---

[١٦] التفتازاني، *ابن عطاء الله السكندري وتصوفه*، ٨٠.

[١٧] نفس المراجع، ص. ٧٩

١. العنصر الفكر

أودع ابن عطاء الله حكمه خلاصة آرائه في التصوف فهي تستوعب مذهبه الصوف باسره وجميع ما جاء في مصنفاته الأخرى ليس إلا شرحا وتفصيلا لما احتوته.

ومن الحكم العطائية ما يتناول الأحكام الشرعية من ناحية آثارها في قلوب المتعبدين السالكين. ومنها ما يعرض للمجاهدة النفسية وما يتعلق بها وما يترتب عليها من المقامات والأحوال التي هي ثمرتها.

ومنها ما يدور حول المعرفة وماهيتها وأدواتها ومناهجها وآداب المتحققين بها. ومنها ما يتضمن آراء ميتا فيريقية في تفسير الوجود وصلته بالله وصلة الإنسان بالله. ثم منها ما يشير إلى آداب السلوك العامة التي ينبغي أن يراعيها السالك في مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته وبعبارة أخرى في طريقه من أوله إلى اخره.[١٨]

وقد ذكر ابن عجيبة أن حكم ابن عطاء مضمنة من علوم القوم أربعة[١٩]:

الأول: علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب.

---

[١٨] نفس المراجع، ص. ٨٤ – ٨٥

[١٩] ابن عباد محمد بن ابراهيم النفزي، *شرح الحكم العطائية*، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨ م – ١٣٠٨ هـ)، ٤/٧.

والثانى: تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال بتجلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة وقد حاز منها جملة صالحة.

والثالث: تحقيق الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق والمنازلات وهذا النوع من أكثر ما وقع فيه.

والرابع: المعارف والعلوم الإلهامية وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبه ملئت بشرحها لا سيما "التنوير" و "لطائف المنن" اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب.

وبالجملة فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع أحد إنكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمعتني به صفة حميدة إلا كساه إياها ولا صفة ذميمة إلا أزالها عنه بإذن الله.

٢. العنصر الموضوعي

وضع ابن عطاء الله هذه الحكم الرائعة وعددها مائتان وأربع وستون حكمة لإيضاح طريق العارفين الموحدين وبيان منهج السالكين المتجردين وكما يقول ابن عباد النفزي ت. (٧٩٢هـ) عنها: "من أفضل ما صنف في علم التوحيد وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد."[٢٠]

[٢٠] .هناك حكم أخرى منسوبة لابن عطاء وهي المعروفة بـ " الحكم الصغرى " وعددها ستون حكمة ألحقها الدكتور / عاصم إبراهيم الكيّالي في آخر شرحه للمختارات من الحكم العطائية وكذلك في آخر كتاب "الواضح المنهاج في

وقد قام الباحث بتقسيم الموضوعات التي بحث ابن عطاء الله في حكمه:

أولا – العلل

أ. مقدمة لازمة :

١. طلب الإنسان معرفة علله مقدم على طلبه معرفة المغ‌يبات :

- تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب (٣٢) .

٢. الصحبة الفاسدة من أكبر أسباب غفلة الإنسان عن علله :

- ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك (٤٤) .

ب. علل النفس :

١. توهم حسن الحال :

- الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية (٧٨) .
- الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار (٧٦) .

نظم ما للتاج" لعبد الكريم بن العربي بنيس وهو نظم للحكم العطائية بتحقيق الكيّالى أيضا ولكن عند التأمل يتضح أن هذه الحكم ليست لابن عطاء الله وإن حاول كاتبها أن ينسج على منواله فقد خانه التوفيق في ذلك.

كما أن هذه الحكم الصغرى لم يشر إليها أحد ممن ترجموا لابن عطاء وذكروا مؤلفاته كما لم يشر إليها أحد من شراح الحكم قديما فأسلوبها ينزل في الفصاحة والبلاغة عن درجة الحكم ويبدو أثر الافتعال واضحا عليها كما أن أكثر معانيها في حقيقتها تكرار لمعاني الحكم بأسلوب آخر.

- خف من وجود إحسانه إليك ، ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" (سورة الأعراف. آية . ١٨٢) . (٦٥)
- من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخرالعقوبة عنه فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد (٦٦) .

٢. التسوىف :

- إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس (١٨).

٣. الهوي :

- لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك (١٠٧) .
- تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال (٢٠١) .
- من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات (١٩٣) .
- إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فإنه لا يثقل عليها إلا ماكان حقا (١٩٢) .

- حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي عليه ومداواة ما يخفى صعب علاجه (١٥٩) .

٤. استحكام العادة :

- كيف تخرق لك العوائد ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد (١٢٧) .

٥. الرضى عن النفس :

- أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضعن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل ، لا يرضى عن نفسه ؟ (٣٥) .

٦. الاغترار بالعلم :

- العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك (٢٣٣) .

٧. الانشغال بالحقوق عن الواجبات (أو بالوارد عن الورد) :

- اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك (٥) .

٨. نقص الأدب :

- لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك (١٠٩) .
- لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال (٢٠٧) .
- طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبه منك عنه وطلبك لغيره لقله حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه (٢١).
- ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب (١٢٨) .

ج. علل القلب :

١. القسوة :

- من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعله من وجود الزلات (٤٧)

٢. ضياع القصد :

- لا تتعدنية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال (٣٨) .
- تطلعت إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان سواه دليل على عدم وصلتك به (٢٢٢) .
- ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع (٦٠) .
- أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع (٦٢) .

- العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء معه "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (سورة الحج ، آية . ٤٦)
- لا ترحل من كون إلى كون ؛ فتكون كحمار الرحى، ويسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون "وأن إلى ربك المنتهى" (سورة النجم ، آية ، ٤٢) وانظر إلى قوله صلى االله عليه وسلم : فمن كانت هجرته إلى االله ورسوله فهجرته إلى االله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، فافهم قوله عليه الصلاة والسلام، وتأمل هذا الأمر، إن كنت ذا فهم والسلام (٤٢) .

٣. الرياء :

- ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك (١٦٠) .

٤. الاعتماد على العمل :

- من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل (١) .

٥. التعلق بالأغيار :

- ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا (٢١٠) .
- فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار (٢٠٦) .
- استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك (١٦١) .

د – علل السلوك :

١. الغفلة عن حكم الأزل :

- ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره االله فيه (١٧) .
- الغافل إذا أصبح ينظر: ماذا يفعل ؟ والعاقل ينظر: ماذا يفعل االله به ؟ (١١٤).
- إرادتك التجريد مع إقامة االله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة االله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية (٢) .

٢. ضعف الهمة :

- الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه (٢٦١) .

٣. طلب الأعواض :

- من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه (٩٢) .

٤. الافتتان بالكرامة :

- ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة (١٧٩) .

٥. الافتتان بالمكاشفة :

- ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار (١٥٤) .
- ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك ولاتبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها "إنما نحن فتنة فلا تكفر" (سورة البقرة آية ١٠٢) (٢٠).
- من اطلع على أسرار العباد ولم يتحلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال إليه (١٥٨)

٦. بقية النفس :

- ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه (١١١) .

ثانيا – الأعمال :

أولاً – الطاعة :

أ. ماهية الطاعة :

١. نورانيتها :

- الأنوار مطايا القلوب والأسرار (٥٥) .
- أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول (٢٠٤) .
- النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد االله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار (٥٦) .

٢. كونها وسيلة وليست مقصودا :

- ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول (٩٥) .
- لما علم الحق منك وجود ملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات ؛ ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم (١١٨) .
- أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك ألى حلمه إذا عصيته (١٣٢) .
- متى رزقك الطاعة و الغنى به عنها فاعلم أنه: قد أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة (٧٤) .
- لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وإنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك (٢١١) .

- لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه ولاينقص من عزه إدبار من أدبر عنه (٢١٢) .

٣. الترغيب في الطاعة :

- علم قلة نهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل (١٩٥) .
- علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية فقال : "يختص برحمته من يشاء" وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماد على الأزل فقال: "إن رحمته االله قريب من المحسنين" (سورة الأعراف ،آية . ٥٦) (١٧٠) .
- أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك إلا دخول جنته (١٩٦) .
- لا يستحقر الورد إلا جهول: الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتني به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه ؟ (١١٢) .

- إذا رأيت عبدا أقامه االله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلو لا وارد ماكان ورد (٦٧) .
- كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا (٩٠) .
- كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته (٩١) .
- جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة (٨٩) .
- من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا (٧٢) .
- وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا (٢٥٢) .
- الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب (١١٩) .
- الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة: تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها (١٢٠) .
- قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسوف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار (١٩٤) .

- لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من االله إليك: "قل بفضل االله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" (سورة يونس ، آية . ٥٨) (٥٨) .

٤. **قبول الطاعة** :

- لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا (٢١٩) .
- لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده (٥١) .
- الأعمل: صورقائمة وأرواحها: وجود سرالإخلاص فيها (١٠) .
- لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا . يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا (١٢٢)
- متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريد وجدان السلامة (١٢١) .
- ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا أويطلب منه غرضا فإن المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له (٢٤٣) .
- كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك ؟ (٢٥٣) .

ثانىا – المعصىة :

١. الترغيب في ترك المعصية :

- الستر على قسمين: ستر المعصية وستر فيها: فالعامة يطلبون من االله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من االله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق (١٣٣) .

٢. الأمل في ترك المعصية :

- إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك (١٤٨) .
- من استغرق أن ينفذه االله من شهوته وأن يحرجه من وجوده غفلته فقد استعجز القدر الإلهية: "وكان االله على كل شيء مقدرا" (سورة الجاثية ، آية ١٨) (١٩٧) .

ثالثا – الأقوال :

١. منشأ الأقوال :

- كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز (١٨٣) .
- تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير (١٨٢) .
- ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهوده وفكر (٢٥٦) .

- ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي (٢٥٥) .
- قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ باالله من ذلك (٢٥٤) .
- لينفق ذو سعة من سعتة"(سورة الطلاق ، آية ٧) الواصلون إليه ، "ومن قُدِر عليه رزقه" (سورة الطلاق ، آية ٧) السائرون إليه. (٣٠) .
- من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ومن عبر من بساط إحسان االله إليه لم يصمت إذا أساء (١٨١) .
- ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة (١٨٨)
- من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله (٧٠).
- لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه .(١٧٩)

٢. أثر الأقوال :

- من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته (١٨٤) .
- ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار (١٨٥) .
- العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل (١٨٧) .

رابعا – الأخلاق :

أ. منشأ التخلق :

- كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا (١٢٥) .
- اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا (٣٤) .
- منعك أن تدعى ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفة وهو رب العالمين !؟ (١٢٦) .
- لا نهاية لمذامك إن أرجعلك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك (١٢٤) .
- المؤمن إذا مدح استحيا من االله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه (١٤٣) .

- إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله (١٤٥) .
- الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها (١٤٢) .
- الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الحق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الحق (١٤٦) .
- المؤمن يشغله الثناء على االله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق االله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا (٢٤٢) .

ب. تخصیص بعض الأخلاق بالذكر :

١. التواضع :

- من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا: إذ ليس التواضع إلا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر حقا. (٢٣٨)
- ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع . (٢٣٩)
- التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته. (٢٤٠)
- إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى (٨٦) .

٢. الشكر :

- من لم يعرف قدر النعم بواجدانها عرفها بوجود فقدانها (١٩٩) .
- لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك، فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك (٢٠٠) .
- من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها (٦٤) .

خامسا – الأحوال :

أ. أسباب الحال :

- لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على االله مقاله (٤٣) .
- ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشيئ يعود منك إليه (١٣٥) .
- ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار (١١٣) .

- ربما وردت عليك الأنوار فوجدت قلبك محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت (٢٠٥)

ب.تخصیص بعض الأحوال بالذكر :

١. الیقظة :

- ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له (٢٠٩) .
- حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها: إذ ما من وقت يرد إلا و االله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق االله فيه؟. (٢٠٨)

٢. الزهد :

- ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب (٤٥) .
- من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك (٢٢٥) .
- ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه (٢٢٦) .
- إن رغبت البدايات زهدتك النهايات: إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن (٢٢٨) .

- إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار تزهيدا لك فيها (٢٢٩) .
- علم أنك لاتقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما سهل عليك وجود فراقها (٢٣٠) .
- الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك (٨٧) .
- لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها و لرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها (١٣٦) .
- إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها (٧١) .
- لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذا الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها (٢٤) .

٣. العزلة:

- متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به (١٠١) .

- إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء (٢٣٥) .
- ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه (١١) .

٤. **القبض والبسط** :

- ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط "لا تدورن أيهم أقرب لكم نفعا" (سورة النساء ، آية ١١) (١٥٠) .
- البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه (٨٢) .
- بسطك ؛ كيلا يبقيك مع القبض ، وقبضك ؛ كيلا يتركك مع البسط ، واخرجك عنهما ؛ كيلا تكون لشيئ دونه ؟ (٨٠)
- متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء ، وإذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك ، وعدم صدقك في عبوديتك (١٤٧) .
- العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل (٨١) .

٥. **الفاقة** :

- ورود الفاقات أعياد المريدين (١٧٤) .
- معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا و استكبارا (٩٦) .
- خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذلتك (١٠٠) .
- مما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذل والافتقار ِ (١٢٩) .
- العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير االله قراره (١٠٣) .
- ربما وجدت من المزيد من الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة (١٧٥) .
- الفاقات بسط المواهب (١٧٦) .
- إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك: "إنما الصدقات للفقراء"(سورة التوبة،آية٦٠) . (١٧٦)

٦. **حسن الظن** :

- إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لأجل معاملته معك فهل عودك إلا حسنا!؟ وهل أسدى إليك إلا مننا!؟ (٤٠) .

- لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن باالله تعالى فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه (٤٩).

٧. **الرضى والتسلىم** :

- ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك (٤) .
- إن أردت ألا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك (٢٢٧) .
- ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته (١٧٢) .

٨. **المراقبة** :

- إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده (٢٣٦) .
- إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما يقيمك (٧٣) .
- لا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه (٢٣) .
- كما لايحب العمل المشترك كذلك لايحب القلب المشترك: العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه . (٢٠٣)

٩. **المكاشفة** :

- النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار (٥٧) .
- ربما أطلعت على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد (١٥٧) .
- لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لاتظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك. (٢٠١)

١٠. الخوف والرجاء :

- إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد مامنك إليه . (١٤٩)
- لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق (٢٠٢) .
- خير العلم ماكنت الخشية معه (٢٣٢) .

١١. الطلب :

- ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك (٢٥)
- خير ماتطلبه منه ما هو طالبه منك (٧٥) .
- مطلب العارفين من االله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية (٧٩) .

- من أشرقت بدايته أشرقت نهايته (٢٧) .
- لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحق الربوبية. (١٦٦)
- لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا!؟ من لا يسطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يسطيع أن يكون لها عن غيره رافعا!؟ . (٣٩)

ت.نتائج الأحوال :

- تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال (٩) .
- ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر (٢٨) .
- حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال (٤٦) .

سادسا – المعارف

أ. مقدمة في المعرفة :

١. مفهوم المعرفة :

- وصولك إلى االله وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء (٢١٣) .

- قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه؟! (٢١٤) .
- العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه (٢٣١)
- مطالع الأنوار القلوب والأسرار. (١٥١)
- نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب (١٥٢) .
- إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه مافتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرفإليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه! وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك ؟ (٨).

ب.مراتب المعرفة :

- أباح لك أن تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات: "قل انظروا ماذا في السماوات") (سورة يونس ، آية١٠١)فتح لك باب الأفهام ولم يقل: انظروا السماوات لئلا يدلك على وجود الأجرام (١٤٠) .
- أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته (١٤٠) .

- نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه (١٥٣) .
- شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه: المستدِل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلافمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟ (٢٩) .
- يردهم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق: هذا في ترقيه وهذا في تدليه (٢٥٠) .

ت.أنواع المعرفة :

أولا .معرفة **الله :**

١. الحجاب :

- النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو لشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجودحجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم (٢٢٣) .

- ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل مامنعته من وجود العيان (٢٢٤) .
- الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته (٢٤٧) .
- ما حجبك عن االله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه (١٣٧) .
- ما قادك شيء مثل الوهم (٦١) .
- إنما حجب الحق عنك شده قربه منك (١٦٤)
- إنما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظم نوره (١٦٥) .
- كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر!؟ (٢١٨) .
- الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر "وهو القاهر فوق عباده" (سورة لأنعام ، آية . ١٨) (٣٣) .
- مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه (١٥) .

- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهوالذي ظهر لكل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟
- كيف يصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟
- كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء؟
- يا عجبا! كيف يظهر الوجود في العدم!؟
- أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم !؟. (١٦)

٢. الظهور :

- كان االله ولاشيء معه وهو الآن على ما عليه كان (٣٧) .
- لو لا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود إبصار لوظهرت صفاته اضمحلت مكوناته (١٣٨) .
- اظهر كل شيء لأنه الباطن طوى وجود كل شيء لأنه الظاهر (١٣٩) .

- من عرف الحق شهده في كل شيء ومن فنى به غاب عن كل شيء ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا (١٦٣) .
- الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهوره الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوز وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار (١٤) .
- علم منك: أنك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه (١١٧) .
- إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن االله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء (١١٥) .

٣. الطرىق :

- تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته (١٧٨) .
- لو لا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين إذا لامسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوه وصلتك (٢٤٤) .
- كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته ؟
- أم كيف يرحل إلى االله ، وهو مكبل بشهواته ؟

- أم كيف يطمع أن يدخل حضرة االله ، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟
- أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار ، وهو لم يتب من هفواته ؟ . (١٣)
- لا تترك الذكر لعدم حضورك مع االله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور "وما ذلك على االله بعزيز" (سورة إبراهيم ، آية . ٢٠) . (١٣)
- أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له ولو لا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك (١٣) .
- جعله لك عدوا ليحوشك به إليه وحرك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه (١٣) .
- ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة (١٢) .

ثانىا. معرفة الكون :

- الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهرغرا والقلب ينظر إلى باطن عبرا (٨٥) .
- بعد المائة الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته (١٤١) .
- أنت من الأكوان مالم تشهد المكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك (١٤١) .
- لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فإذا كنت كذلك فخذ ماوافقك العلم . (١٤١).

ثالثا. معرفة الإنسان :

- جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته (٢٤٥) .
- إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك (٢٤٦) .
- فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض (٩٩) .
- إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك (١٢٣) .
- رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده (٢٥٩) .

- من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن االله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة (٢٦٠) .
- من لم يقبل على االله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الإمتحان (٦٣) .
- سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية (١٠٨) .
- سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم من أراد أن يوصله إليه . (١٥٦)
- ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار (١٠٨)
- لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية: إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت فيالأفق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك وإليك ولكنه وارد عليك (٢٤٩) .

رابعا. الفناء :

أ. الفناء في تجلىات أفعاله :

١. الإىجاد والإمداد :

- نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولا بد لكل مكون منهما ، نعمة الأيجاد ونعمة الإمداد (٩٧) .
- أنعم عليك أو لا بالإيجاد ، وثانيا بتوالي الإمداد (٩٨) .

٢. القدر :

- سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار (٣) .
- ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه (٢٢) .
- كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق !؟ (١٦٧) .
- جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل (١٦٨) .
- من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره (١٠٦).
- قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم أختصهم بمحبته : "كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورة " (سورة الإسراء ، آية ٢٠.) (٦٨) .

٣. العطاء والمنع :

- ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك (٨٣) .
- متى فتح باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء (٨٤).
- العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من االله إحسان (٨٨) .
- متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك. (٩٣)

- إنما يؤلمك المنع؛ لعدم فهمك عن االله فيه (٩٤) .
- ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك (١٩٨).

٤. إنجاز الوعد والوعيد :

- لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك ؛ فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد (٦) .
- لا يشكّكُنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك ، وإخمادا لنور سريرتك (٧).
- لا صغيرة إذا قابللت عدله ، ولا كبيرة إذا واجهك فضله (٥٠).

ب. الفناء في تجليات صفاته :

- لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف (٢٤١) .
- ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه ؛ لا كتفائه بمشيئته ، فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته؟ !. (٢٣٤)
- ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار (١٠٥) .

- متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم االله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم (٢٣٤) .
- لو أنك لا تصل إلا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا، ولكن إذا أردت أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه، ونعمتك بنعمته، فوصلك إليه: بما منه إليك، لا بما منك إليه (١٣٠) .
- إلى المشيئة يستند كل شيء ولاتستند هي إلى شيء (١٧١).
- عنايته فيك لا لشيء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايته، وقابلتك رعايته !؟ لم يكن في أزله إخلاص أعمال، ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال، وعظيم النوال (١٦٩) .
- إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال ، وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال (١٧٣) .
- أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السرائر بأنوار أوصافه؛ لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر؛ ولذلك قيل: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب. (١٠٤)

ت. الفناء في تجلي ذاته :

- اشهدك من قبل أن يستشهدك، فنطقت بإلهيته الظواهر، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر (٢٥٧) .
- ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له؛ لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده (٧٧) .
- شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك،لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك، ولا وجودك (٣٦) .
- قطع السائرين له، والواصلين إليه، عن رؤية أعمالهم، وشهود أحوالهم . أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع االله فيها، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها (٥٩) .
- اهتدى الراحلون إليه بأنوار التواجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة. فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم؛ لأنهم الله، لاشيء دونه : "قل االله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (سورة الأنعام ، آية . ٩١) . (٣١)

خامسا. البقاء :

- من علامات النجح في النهايات الرجوع إلى االله في البدايات (٢٦) .
- متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك (١١٠) .

سادسا. الواردات :

- متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها" (سورة النمل ، آية ٣٤.). (٢١٥)
- إنما أورد عليك الوارد؛ لتكون به عليه واردا (٥٢) .
- الوارد يأتي من حضرة قهار؛ لأجل ذلك لايصادمه شيء، إلا دمغه "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق" (سورة الأنبياء ، آية ١٨ .) . (٢١٧)
- متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها" (سورة النمل ، آية ٣٤.) . (٢١٦)
- أورد عليك الوارد ، ليستعملك من يد الأغيار ، ويحررك من رق الآثار (٥٣) .

- أورد عليك الوارد ، ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك (٥٤) .
- لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار (٢٢٠) .
- لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها، وأودعت أسرارها، فلك في االله غنى عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء (٢٢١) .
- الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار (٢٦٢) .
- الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له (٢٦٣) .
- الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان ، وفكرة جهود وعيان : فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار (٢٦٤) .
- من علامات إقامة الحق لك في الشيء إقامته إياك فيه، مع حصول النتائج (١٨٠) .
- متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك (١٠٢) .
- لا تطلب منه أن يخرجك من حاله؛ لستعملك فيما سواها، فلو أرادك لا ستعملك من غير إخراج (١٩) .

٣. العنصر الشكل

العنصر الشكلي للحكم يناسب ويحقق الأشكال المشتركة بين الأشكال الشرعي و الأشكال العامة لأن كل من الحكم غير ما ورد عن المعصومين ولكن تتأثر منهم وتتضمن فيها جميع العناصر الأدب.

الحكمة الأولى

من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.

١. العنصر المعنوي:

تقديم خبر مقدم يتعلق بكائن أو استقر مقدر لتنبيه على أن أول الأمر المهتم به خبر (من علامات ... نقصان الرجاء).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى أن علامات نقصان الرجاء عند وجود الزلل الاعتماد على العمل.

وجاء المسند إليه بالإضافة أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع.

٢. العنصر اللفظي:

من هنا للتبعيض وذكر صياغ علامات الاعتماد على العمل متعددة في الباب وغيره، وعلامة الشيء ما أعلم بوجوده عند خفائه وغيبته. والاعتماد على الشيء حصر القوة فيه، يعني الاستناد إليه في تحصيل المقصود. والفرق بين مواد الإستناد والإعتماد والركون والتمكن فإن التكن يلاحظ فيه مطلق

الاستقرار. وفي الركون يلاحظ ميل مع سكون. وفي الإعتماد يلاحظ اتكاء في النفس واختيار التمايل والقصد مع ركون[٢١]. فرجح لفظ الإعتماد عن الأخر لأن ما يطلب منه طمع يصحبه عمل في سبب المطموع فيه لتحصيله.

والعمل الحركات البدنية والقلبية عموما. والنقصان ضد الزيادة، وهو سر الحقيقة. ووجود بمعنى وقوع وقد يُراد لغير ذلك فلا يصح أن يقال زائدة مطلقا كما قاله بعض الناس. والزلل الخروج عن المفصود وإن بغير قصد.

الألف واللام فيه في العمل يحتمل كونها للجنس فيدخل أمر الدنيا والآخرة، أو العهد فالمراد العمل الصالح. والزلل بحسبه وهو مخالفة أمر الله وهذا أمس بالسياق كما أن الذي قبله أشمل.

٣. العنصر الإيقاعي:

السجع المطرف بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخر أو المحفاظة على سجع في "العمل" و"الزلل". والعبارة عبارة عن فقرات قصار مسجوعة تتقمص أسلوب القرآن الكريم ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

والسجع يؤدي في الحكم وظيفة جمالية واضحة متمثلة في إضفاء طابع موسيقي عليها فإنه لا يقتصر على هذه الوظيفة فقط، بل إن الغاية الأساس منه

---

[٢١] المصطفوي، *التحقيق في كلمة القرآن الكريم*، (لبنان، مركز نشر العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، ١٤/٢٠٧

هي: "التأثير في المتلقي وحمله على الانتباه والتفاعل مع المضامين التوجيهية التي تُلقى إليه. فالسجع إذ ينشأ في مقام الإقناع لا يكون مجرد زخرفة صوتية"[٢٢]، ولكنه يندغم في المتوالية الحجاجية للحكم، ويستخدم باعتباره خادما لمقصديتها العامة.

٤. العنصر البنائي:

قد قال ابن عطاء الله في هذه الحكمة الأولى من حكمه على حماية المسلم باسلوب لطيف كالبداية على افتتاح النهاية حتى يدور على محور الأخلاق وتزكية النفس والسلوك وأحكامه المختلفة.

ويقول ابن عطاء الله: (من علامات الاعتماد على العمل) أي الجوارح من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها والمعتمد على ذلك العباد والمريدون. فالأولون يعتمدون عليها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب **الله** تعالى والآخرون يعتمدون عليها في الوصول إلى **الله** تعالى وكشف الأستاذ عن القلوب وحصول الأحوال القائمة بها والمكاشفات والأسرار وكلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الأعمال إليها حتى ينتج ما ذكر. أما العارفون فلا يرون لأنفسهم شيئا يعتمدون عليه بل يشاهدون أن الفاعل الحقيقي هو **الله** تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط وأشار المصنف رحمه **الله** تعالى إلى

---

[٢٢] مصطفى الغرافي، *رسالة دكتورة: بلاغة النص النثري دراسة في أنواع الخطاب وأنماطه عند ابن قتيبة*، (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ٢٠١٢)، ٦٥.

علامة يعرف بها العبد نفسه. فمن علامة كونه من القسمين الأولين: (نقصان الرجاء) أي رجاؤه في **الله** تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب إن كان من العباد وأن يوصله إلى مطلوبه للتقدم إن كان من المريدين (عند وجود الزلل) بأن تصدر منه معصية كزنا وغفلة عن **الله** تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فإذا وقع في زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان فضائله عليه كما أنه إذا صدرت منه طاعة أو لاح له مشاهدة قلبية لم ير في ذلك حوله وقوته فلا فرق عنده بين الحالين؛ لأنه غارق في بحار التوحيد قد استوي خوفه ورجاؤه فلا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الإحسان رجاؤه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والأذكار حتى يصل إلى مقام العرفان.

الحكمة الثانية

إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية .

١. العنصر المعنوي:

الاطناب بالتكرير الشيء مرتين لأغراض طول الفصل لئلا يجيء مبتورا ليس له طلاوة (إرادتك).

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر (إرادتك التجريد ... وإرادتك الأسباب).

يعمل لفظ "إرادة" كالمصدر عمل فعله مضافا الى ضمير الخطاب و"التجريد" مفعول به منها ومع إقام الله لزيادة على تكرير في المعنى. والأسلوب من هذا أسلوب الخبري تفيد ثبوت شيء لشيء.

تقديم مفعول به (إياك) مع أن الأصل في أسبابك تفيد التقرير وليس المقصود بالتخصيص او القصر.

٢. العنصر اللفظي:

التجريد في اللغة هو التكشيط والإزالة تقول جردت الثوب أزلته عني. أما التجريد عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام: تجريد الظاهر فقط، أو الباطن فقط، أو هما معا.[٢٣]

وارادتك التجريد أي ميل نفسك إلى التجريد عن الأسباب الظاهرية. "مع إقامة الله إياك في الاسباب" وعلامة ذلك أن يشها لك. من الشهوة الخفية أي من شهوات النفوس التي تدعو اليها الخفية. إرادتك الأسباب أي التسيب والاكتساب. مع اقامة الله إياك في التجريد أي بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب. الانحطاط أي النزول من علو إلى أسفل وهذا التعبير لا يقول بالنزول بل الانحطاط من اختيار الألفاظ الحسن

[٢٣] الحسني، إيقاظ الهمم، ١٥.

الجزلة والرقيقة في مقامها ففي مقام التهديد وإثارة الحمية والحماسة تستعمل الألفاظ الجزلة. الهمة هي قوة انبعاث في النفس إلى مقصود ما. انحطاط عن الهمة العلية أي لإرادة الرجوع إلى الخلق بعد التعلق بالحق.

٣. العنصر الإيقاعي:

المقابلة بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب في صياغ الحكم إرادتك التجريد مع إقامة االله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة االله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية.

و يذكر السجع الطويل بين الفاصلتين في لفظ إقامة الله والشهوة الخفية ومع إقامة االله والهمة العلية.

٤. العنصر البنائي:

لما كان الإنتقال من عمل الظاهر إلى عمل الباطن لا بد أن يظهر أثره على الجوارح وظهور الأثر هو التجريد أشار إليه ابن عطاء الله بعد افتتاحه بحماية المسلم في الحكمة الأولى.

ويقول ابن عطاء الله: (إرادتك التجريد) أي ميل نفسك الصادق إلى التجريد عن الأسباب الظاهرية أي خروجك عنها وعدم معانا بها. (مع إقامة االله إياك في الأسباب) وعلامة ذلك أن يهيئها لك وأن تجد السلامة في دينك عند معاناتها، وينقطع بها طمعك عما بأيدي الناس ولا

يشغلك عما أنت فيه من وظائف العبادات الظاهرة والأحوال الباطنة (من الشهوة) أي من شهوات النفوس التي تدعو إليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لأن ظاهر ذلك أن مرادك بالتجرد الانقطاع إلى **الله** تعالى والتقرب إليه وباطنه أن مرادك الشهوة بالولاية لتقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب إليك فتنقطع عما أنت بصدده. (وإرادتك الأسباب) أي التسبب والاكتساب (مع إقامة **الله** إياك في التجريد) أي بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على الاشتغال بوظائف العبادات (انحطاط عن الهمة العلية) لإرادتك الرجوع إلى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن إلا مخالطة أبناء الدنيا فيما هم فيه لكان كافيا في دناءة الهمة.

فالواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى **الله** إخراجه منه ولا يخرج بنفسه وإرادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة والعياذ بـ**الله** تعالى.

الحكمة الثالثة

سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار.

١. العنصر المعنوي:

جاء مسند إليه بالإضافة إضافة الموصوف إلى الصفة في سوابق الهمم أنها أخصر طريق إلى إخضاره في ذهن السامع فإنه أخصر من قول الهمم السوابق. اللاستدراك بإخراج الشيء على أنّه مقترن بعنصر هو إزالة التوهم عن العموم (لا تخرق).

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف في جميع ألفاظ الحكمة فان المعنى التي تتضمن فيها كثير ولفظه يسير.

٢. العنصر اللفظي:

السوابق: جمع سابقة، وهي المتقدمة. والهمم جمع همة، والهمة: قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام به و مهما اشتدت و قويت هذه العزائم فإنها لا تخرق أسوار الأقدار.

القضاء هو علم الله الأزلي بكل ما يجري في المستقبل. والقدر هو وقوع الأشياء طبقا لهذا العلم الأزلي. وهذان المعنيان (أي القضاء و القدر) منها ما يقع دون أن يكون للإرادة الإنسانية دخل كالموت و المصائب و الأمراض و العاهات، و منها ما يقع على إثر إرادة و قصد من الإنسان كالدراسة و التجارة و الزراعة. إذا كان الأحداث قبل وقوع فهو القضاء فإذا وقعت فهو القدر. واتسعمل لفظ القدر عن القضاء من انتقاء الألفاظ المناسبة لنوع البحث وطبيعته.

٣. العنصر الصوري:

وفيه تشبيه الأقدار بمدينة لها أسوار في الصيانة والحفظ على سبيل المكنية . أي جب عليك أن تعتقد أن الهمم أسباب عادية لا تأثير لها وما ينشأ عنها إنما هو بقضاء االله تعالى وقدره فيكون عندها لا بها.

٤. العنصر الإيقاعي:

تساوي الفاصلتين في الوزن دون تقفية او ما سمي بالموازنة في لفظ أسوار والأقدار مع لزوم ما لايلزم قبل حرف الراوي.

٥. العنصر البنائي:

هذه حكمة تتمم الحكمة التي قبلها و كالتعليل لما قبلها وتوطئة لما بعدها كأنه قال: إرادتك خلاف لما أراده مولاك لا تجدي نفعا لأنه إذا كانت سوابق الهمم أي الهمم السوابق أي سريعة التأثير في الأشياء وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشياء وتكون للولي كرامة يقال: فعل كذا مته إذا وجهها إليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن إهانة لا تنفعل عنها الأشياء إلا بتقدير **االله** تعالى أي بإذنه سبحانه، فالهمم غير السوابق، كهمتك لا أثر لها من باب أولى، ففي هذا تبريد نار الحرص المشتعلة في قلبه حتى يخيل له أن ذلك الشيء طوع يده وأنه يدرك لا محالة والإضافة في قوله: (سوابق الهمم) من إضافة الصفة إلى الموصوف كما تقرر وفي قوله: (أسوار الأقدار) من إضافة المشبه به للمشبه.

الحكمة الرابعة

ارح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك.

١. العنصر المعنوي:

افتتح ابن عطاء الله في هذه الحكمة بأسلوب الإنشاء لإرشاد ولزيادة النكتة في ذهن السامع. والتأكيد بذكر المفعول به في لفظ نفسك مع أن فعل الأمر يلزم فيه المفعول به المستتر وجوبا.

واختر صياغ الأمر من دون الصيغ الأخرى لأنه كان حريصا على أن يمتثل المتلقي ويستجيب لنصيحته مما يعني أنه يسعى إلى حصول: الامتثال والاستجابة وهو ما تعمل على تأديته أساسا صيغة فعل الأمر.

ويذكر فعل ماض قام يفيد الثبوت والإستمرار في السياق والتأكيد أيضا في ذكر عنك المكررين في المعنى دنو اللفظ.

مقابلة الشيء بشيء آخر على نحو يقف كل منهما متقاطعا مع الآخر, أن يتم التقابل مباشرة، بحيث يشار لفظيا إلى الموضوعين المتقابلين (قام ولاتقم).

٢. العنصر اللفظي:

التدبير في اللغة هو النظر في الأمور وأواخرها. وفي الاصطلاح: هو كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه: تقدير شئون يكون عليها في المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض، فإن كان مع تفويض وهو أخروي فنية خير، أو طبيعي فشهوة، أو دنيوي فأمنية.

والفرق بين التعامل والتدبير أن التعامل مصدره الجسم والأعضاء وهو مطلوب و مرغوب. والتدبير مصدره النفس والفكر وهو مرفوض ومكروه. فاختيار الألفاظ للحكمة التي تعبّر مباشرة عن المعنى المقصود بشكل مختصر وواضح.

أن الأمر والنهي في هذه الحكم لم يأتيا على سبيل الإلزام، وإنما على سبيل النصيحة والإرشاد. ويبقى حرا في القيام بما يطلبه منه الشيخ أو عدم القيام به إذ إنه ليس ملزما بالتنفيذ وإنما له كامل الحرية في الاختلاف مع شيخه. وإذا كان للأمر والنهي وظيفة حجاجية، تتمثل في كونهما موجهين لأجل حصول الفعل أو عدمه أي إن الغرض منهما إنجازي نفعي فإنهما يستمدان طاقتهما الإقناعية من شخص الآمر أو الناهي وليس من ذات الصيغة ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي والنهي إلى معنى الدعاء، حيث لا يكون الآمر مؤهلا شرعيا لتوجيه الأوامر والنواهي.[٢٤]

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث نفس الحرف فلكاف وهي الحرف الأخير من عبارات (نفسك, غيرك, لنفسك) تجسد صوتا.

رد العجز على الصدر بجعل أحد الملحقين (قام, لاتقم) حيث تنتظم نظام الأصوات بسهول نطقها.

---

[٢٤]. عبد الله صولة، *الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، نقلا عن: بلاغة الخطاب النقدي*، (الانتصار للشعر والنحو عند عبد القاهر الجرجاني، ضمن كتاب: بلاغة النص النثري، إشراف محمد مشبال، دار العين للنشر، الاسكندرية، مصر، ٢٠١٣)، ١٩١.

التجانس بالعبارة المفردة المكررة في ذكر الخطاب (نفسك وغيرك عنك ولنفسك).

٤. العنصر البنائي:

هذه حكمة متممة للحكمتين السابقتين و تصب كذلك في مسائل القضاء و القدر. إن رجعنا إلى الحكمة الثانية التي تدعو إلى التعامل مع الأسباب، إن نحن أقمنا في عالم الأسباب فإن هذه الحكمة توحي في البدء أنها تدعو إلى عكس ذلك حين تدعو إلى إراحة النفس من هم التدبير.

ويقول ابن عطاء الله: (أرح نفسك) أيها المريد (من التدبير) لأمر دنياك وهو أن يقدر الشخص في نفسه أحوالا يكون عليها ما تقتضيه شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه وفي تعبيره بـ (أرح) إشارة إلى المطلوب تركه للمريد هو ما فيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا ورد: "التدبير نصف المعيشة."

(فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) يعني أن الأمر مفروغ منه إذ قد قام به غيرك وهو **الله** تعالى وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به فيكون قيامك به فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول، وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة لأحكام الربوبية ومنازعة القدر وإنما خاطب المريد بذلك لأنه إذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه في الغالب

فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر له في نفسه أمورا لا يقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له ودواء ذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير.

الحكمة الخامسة

اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك.

١. العنصر المعنوي:

الوصل بين اجتهادك وتقصيرك لقصد تشريك الجملة الثانية مع ان الجملة الأولى محل من الإعراب.

يذكر ما الموصولية مرتين تفيد العموم والشمول.

المقابلة اي هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب في لفظ اجتهادك وتقصيرك ثم ضمن و طلب.

٢. العنصر اللفظي:

الاجتهاد في الشيء هو استفراغ الجهد والطاقة في طلبه. والتقصير هو التفريط والتضييع.

والفرق بين البصيرة والبصر أن والبصيرة ناظر القلب، كما أن البصر ناظر القالب، فالبصيرة لا ترى إلا المعاني، والبصر لا يرى إلا المحسوسات.

أو تقول: البصيرة لا ترى إلا اللطيف، والبصر لا يرى إلا الكثيف.أو تقول البصيرة لا ترى إلا القديم، والبصر لا يرى إلا الحادث. أو تقول البصيرة لا ترى إلا المكون، والبصر لا يرى إلا الكون. وهذا من دقة إشارة الحكمة إلى المعنى الصريح المقصود من اللفظ عند تعدّد معاني اللفظ المترادفة.

٣. العنصر الإيقاعي:

اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

الترصيع التقارب في لفظ اجتهادك وتقصيرك وكذالك السجع في فاصلة كل أطرافها لك ومنكثم منك.

التوازن المطلق في قول " اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك". بتنظيم الأصوات المنتظمة في المجموعة.

٤. العنصر البنائي:

لما كان الإنهماك في التدبير والإختيار يدل على إنطماس البصيرة وتركهما أو فعلهما بالله يدل على فتح البصيرة ذكر علامة أخرى أظهر وأشهر منهما على فتح البصيرة أو طمسها فقال ابن عطاء الله إجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على إنطماس البصيرة منك.

إذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في الظاهر بخدمته، وفي الباطن بمحبته فكلما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوى نور

البصيرة من المعاني اللطيفة والأنوار القديمة. وإذا أراد الله خذلان عبده أشغله في الظاهر بخدمة الأكوان، وفي الباطن بمحبتها، فلا يزال كذلك حتى يطمس نور بصيرته، فسيتولى نور بصره على نور بصيرته، فلا يرى إلا الحس، ولا يخدم إلا الحس، فيجتهد في طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم. ولو كان بدل الاجتهاد استغراقاً، وبدل التقصير تركاً لكان بدل الطمس عمى وهو الكفر والعياذ بالله. لأن الدنيا كنهر طالوت ولا ينجو منها إلا من لم يشرب أو اغترف غرفة بيده لا من شرب على قدر عطشه.

الحكمة السادسة

لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك؛ فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد.

١. العنصر المعنوي:

قد دعا ابن عطاء الله بأسلوب الإنشاء تستفاد من سياق الكلام معنى الإرشاد في قوله لا يكن تأخر أمد العطاء.

وجاء المسند إليه بالمضاف على أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع من قول تأخر أمد العطاء.

إخضار ضمير الغيبة "هو" ولم يذكر مرجعها في السياق ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في ذهن السامع.

يذكر ما الموصولية مرتين تفيد العموم والشمول.

٢. العنصر اللفظي:

أمد هو زمن والإلحاح المدوامة في الدعاء، والدعاء عبارة عن حالة النفيسة تعتري الطالب فيسمى طلبه عند ذلك الدعاء باختلاف الطلب، أنه لفظ ينطق به الطالب. والعلاقة بعبارة الإلحاح والدعاء من التناسق بين الألفاظ يحصل عندما يحتل كل لفظ مكانه المناسب في الجملة. واليأس قطع الرجاء والأمل.

٣. العنصر الإيقاعي:

المشاكلة بذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته في قول يختار وتختار ثم يريد وتريد مع الارصاد في ذكر لفظ "الذي" قبليهما.

السجع الطويل في كل فاصلة من هذا الحكم كما يلاحظ مما طالت فيه الفقرة الثانية عن الأولى.

الإيقاع المتنوعة فإن فواصله تنوع مع إخضاعها للتنظيم الأصوات بحرف "الهمزة (العطاء و الدعاء)" و"الكاف (يختاره لك و تختار لنفسك)" و"الدال (يريد و تريد)".

٤. العنصر البنائي:

لما كان الإجتهاد في المضون كله مذموم كان أو بالقول وهو الإستعجال في تحصيله قبل إبانه بالدعاء أو بغيره فأشار إلى ذلك بقول هذا الحكم السادسة.

إذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي أو الإلهام من نبي أو ولي أو تجل قوي فلا تشك في ذلك الوعد إن كنت صديقاً، فإن لم يتعين زمنه فالأمر واسع، وقد يطول الزمان وقد يقصر، فلا تشك في وقوعه وإن طال زمنه، وقد كان بين دعاء سيدنا موسى وهارون على فرعون بقوله: ‘‘ربنا أطمس على أموالهم’’ الآية. أربعون سنة على ما قيل، وإن تعين زمنه ولم يقع ذلك عند حلوله فلا تشك في صدق ذلك الوعد، فقد يكون ذلك مترتباً على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى عن ذلك النبي أو الولي لتظهر قهريته وعزته وحكمته.

و من ثم فهذا السلوك، أي سلوك الافتقار و إعلان الذل و الانكسار يجب أن يلتزم به المسلم دائما مع ثقته طبعا في كرمه عز و جل.

الحكمة السابعة

لا يشكّكُنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك ، وإخمادا لنور سريرتك.

١. العنصر المعنوي:

التوكيد في لفظ لايشكّكُنك لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع.

رد العجز عن الصدر في لفظ الوعد والموعود بأن يجعل أحد اللفظين الملحقين بهما في أول الفقرة ثم تعاد في آخرها.

لزوم ما لا يلزم بأن يجيء قبل حرف الروي بما ليس بلازم في التاء قول بصيرتك سريرتك.

٢. العنصر اللفظي:

التشكيك في الشيء هو التردد في الوقوع وعدمه والوعد الأخبار بوقوع الشيء في محله والموعود المخبر به. والفرق بين الشك و الريب أن الشك اختلاف النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده في النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما والشك ضرب من الجهل، وهو أخص من ريب لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا، وكل شك جهل، وليس كل جهل شكا[٢٥].

والقدح في الشيء التنقيص له والغض من مرتبته والبصيرة القوة المهيئة لأدرك المعاني.

---

[٢٥] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، ج٣، بيروت: المكتبة العلمية، د. ت، ص ٣٣٢ – ٣٣٣.

السريرة هي ما يمكتمه المرء في نفسه أو هي عين القلب. يقال :فلان طبيب السريرة أي طبيب القلب.

٣. العنصر الصوري:

المجاز المرسل في قول سريرتك كناية عن القلب بالعلاقة الجزئية والقرينة الحالية.

٤. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تجسد حرف "الدال (الوعد و الموعود)" و"ألف (قدحا و إخمادا)" والكاف (بصيرتك و سريرتك)

من حيث المدى الياء في قول "بصيرتك و سريرتك" حيث يشملهما نسق صوتي واحد هو المد لهما.

التجانس بالعبارة المفردة التي يتحقق فيها تجانس أصواتها في قول " الوعد عدم وقوع الموعود"

توازن الجملة بلإيقاع المتنوع في قول " قدحا في بصيرتك، وإخمادا لنور سريرتك"

٥. العنصر البنائي:

حقق لك ما تقدم من إنجاز الوعد ونفوذ الموعود ولكن على الوجه الذي يريد وفي الوقت الذي يريد وأمرك في ذلك بالصدق والتصديق ونهاك عن الشك

والترديد ليكمل بذلك فتح بصيرتك وتبهج أنوار سريرتك فقال لا يشككك... الخ.

وهذه الحكمة أعم مما قبلها فإن الموعود به في تلك خصوص الإجابة وفي هذه أعم لأنه يشمل ما إذا كان الوعد من الله بإلهام رحماني بأن ألهمك أنه يحصل لك في الوقت أن لاتحصوه.

إن الإنسان كلما كان بعيداً عن الله منكبا على الدنيا، تقل أمام بصيرته حقوق اللهعليه، و تتكاثر أمنياته التي قد يرى فيها حقا على الله، و كلما كان قريبا من ربه،تعظم أمام بصيرته حقوق الله، و تضمر حقوقه التي ربما يتخيل أنها حق له من الله .

فكلما زاد الإنسان قربا من الله،ازداد شعوراً بالتقصير. و انظر في ذلك مثال رسولنا الكريم محمد صلى اللهعليه و سلم، فقد كان أكثر الناس معرفة بربه، و كان دائم الاستغفار له. ونتيجة هذا الكلام، أن الله لا يخلف الميعاد بأي شيء كان.

الحكمة الثامنة

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك، فإنه مافتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه ! وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك؟

١. العنصر المعنوي:

استعمل أداة الشرط "إذا" في افتتاح الحكم بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل ومن أجل هذا لا تستعمل "إذا" إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي (فتح) لدلالته على الوقوع والحصول قطعا.

ومن المعلوم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب والجواب هي فلا تبال معها إن قل عملك.

ايجاز الحذف بحذف المسند إليه (الله) ويكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف وهي كون المسند إليه معينا معلوما.

القصر بالنفي والاستثناء في قول ما فتحها لك إلا وهو يريد.

الإستفهام الإنكاري في قول ألم تعلم... ولا يطلب منه الجواب وانما وقع في النفي يجعله اثباتا.

مراعاة النظير أو الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد في ذكر لفظ المورد والتهدي.

ويذكر الإستفهام في قول وأين ما للتحقير.

٢. العنصر اللفظي:

فتح بمعنى هيأ ويسر، والغالب إستعماله في الخير، فأشعر الإتيان به هنا لاغيره أن جهة التعريف من الأمور الجميلة وهذا من اختيار الألفاظ التي تعبّر مباشرة

عن المعنى المقصود بشكل مختصر وواضح. والوجهة هي الجهة، والمراد هنا الباب والمدخل. والتعرف طلب المعرفة، تقول تعرف لي فلا إذا طلب مني معرفته. والمعرفة تمكن حقيقة العلم بالمعروف من القلب حتى لا يمكن الإنفكاك عنه بحال، والمبالاة التهمم بفوات الشيء.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالكاف (لك وعملك, لك وإليك, عليك و عليك) والهاء (مهديها إليه و تهديه إليه).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء (يريد و إليك, عليك و إليه, إليه و عليك).

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ " إذا فتح لك مع فإنه مافتحها لك و التعرف ومع ألم تعلم أن التعرف و هو مورده عليك مع مما هو مورده عليك ".

التجانس بالعبارة المطلقة في لفظ "مهديها مع تهديه و التعرف مع أن يتعرف ".

٤. العنصر البنائي:

لما كانت التعرفات القهرية ظاهرها جلال وباطنها جمال لما يعقبها من أوصاف الكمال وربما يشك المريد فيما وعد الحق عليها من الخيرات وما رتب عليها من الفتوحات نبه الشيخ على ذلك فقال إذ فتح لك وجهة...الخ.

إن فتح الله لك نافذة يعرفك من خلالها على ذاته، فلا تعجب من أنك قد بلغت هذا الأوج من التوجه إلى الله دونما كثير من الطاعات، فطريق الفتح الإلهي مختلف عن طريق السير الإنساني .

هذه الإرادة من لدن الله عز و جل و التي شرفك الله بها تجب أن تملأ كيانك حبا و تعظيما له حتى و إن قل عملك. ثم تأمل سلم الأعمال الصاعد بما فيه من الشوائب، وألطافه الإلهية بك. كخلاصة لحكمة اليوم، هناك طريقان للوصول إلى الله.

١. طريق أكثر الناس، و هو طريق الإكثار من الطاعات، و أخذ النفس بمنهج طويل من التزكية

٢. طريق الأقلية و هو الاجتباء و مصدره فضل من الله لمن شاء متن عباده .

الحكمة التاسعة

تنوعت أجناس الأعمال، لتنوع واردات الأحوال.

١. العنصر المعنوي:

وهي وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل باستمال أساليب الإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، في قول ابن عطاء الله: "تنوعت أجناس الأعمال، لتنوع واردات الأحوال" فان معناه كثير ولفظه يسير.

وتأتي ابن عطاء الله في هيأة فقرات قصار سهلة على الحفظ والتذكر. وترجع أسباب إيجازها إلى كونها تهدف إلى تعليم المريد مبادئ الصوفية أي أنها نصوص تربوية تعليمية وبالتالي فلكي تكون أعلق بالأذهان لجأت إلى الإيجاز تطبيقا للمقولة الصوفية المشهورة[٢٦]: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة".

٢. العنصر اللفظي:

تنوع الشيء: تكثيره. والأعمال هنا عبارة عن حركة الجسمانية في الجملة. والأحوال عبارة عن الحركات القلبية بمقتضى تقريره أن أعمال القلوب أصله أعمال الجوارح. والذي أفهم وأجريت المناشبة أن الأعمال عبارة عن الحركات الجسمانية والقلبية معا بشرط كونها موافقة الأمر الشارع. والأحوال عبارة عن التقلبات الوجودية مثل العافية والبلية والغني والفقر والعز والذل إلى غير ذلك مما يتعاقب على العبد ولا يلزم وجوده فتختلف أحكامه باختلافه فيكون لكل حال عمل يخصه ويختص به ليس باولي فيه من غيره كالصبر عند البلية والشكر عند العافية وبحسب هذا فالعمل غير فائت بل إنما هو معوض بمقابله باطنا بالظاهر وظاهرا بباطن.

والواردات والأحوال عبارة عن حركة القلب، فالخاطر والوارد والحال محلها واحد وهو القلب. لكن ما دام القلب تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية

---

[٢٦]. محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، *كتاب المواقف والمخاطبات*، (مكتبة المتنبي، مصر، القاهرة، ط ١، د.ت، الموقف ٢٨)، ٥١.

سمي ما يخطر فيه خاطرا، وإن انقطعت عنه الخواطر الظلمانية سمي ما يخطر فيه واردا أو حالا، فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة بيانية وكلاهما يتحولان، فإن دام ذلك سمي مقاما.

وهذه كله من انتقاء الألفاظ والكلمات والمصطلحات المناسبة لنوع البحث وطبيعته على قدر دقة معانيهما.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات باللام (الأعمال و الأحوال).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بلألف (أجناس و واردات, الأعمال و الأحوال).

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ " تنوعت مع لتنوع ".

توازن الكلمة بلإيقاع الموحدة على وزن أفعال أو السجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين (الأعمال و الأحوال) .

وهنا تساوت الفقرتان وهذا من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه.

ويلاحظ على هذه الحكم مناسبة الألفاظ لمعانيها وتلاحمها مع قوافيها.

٤. العنصر البنائي:

بعد تكلم ابن عطاء الله عن تهديه باب الأعمال لتعرف الله تعالى فتنوعت عنها فقال تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال.

قد تنوعت أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة أو تقول أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فإن ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون وإن ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة وإن ورد على القلب زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو ترك وإحجام أي تأخر وأن ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على الجوارح أثره وهو كد وتعب وأن ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح أثره وهو شطح ورقص وأن ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثره وهو راحة وركود إلى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ عنها من الأعمال وقد تختلف هذه الأحوال على قلب واحد فيتلون الظاهر في أعماله وقد يغلب على قلب واحد حال واحد فيظهر عليه أثر واحد فقد يغلب على الشخص القبض فيكون مقبوضا في الغالب وقد يغلب عليه البسط كذلك إلى غير ذلك من الأحوال.

الحكمة العاشرة

الأعمل: صور قائمة وأرواحها: وجود سر الإخلاص فيها.

١. العنصر المعنوي:

تعريف المسند إليه بأل الجنسية (الأعمل) للاشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها والإشارة فيه إلى نفس الجنس بقطع النظر عن الأفرادها.

يذكر لفظ وأرواحها على أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع, أخصر من قولك :وأرواح التي هي.

الإيجاز بوضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، في قول ابن عطاء الله: " الأعمل: صور قائمة وأرواحها: وجود سر الإخلاص فيها" فان معناه كثير ولفظه يسير.

واعلم! أن الإيجاز مثل في هذا الحكم يسهل عملية الحفظ وهو ما يخدم مقصد الحكم التي ترغب في أن تصير متداولة. أي إنّ الإيجاز هنا يسهل عملية انتشار الحكم وإذاعتها بين الناس شفهيا ثم إنه يجعل المرء ينجذب إليها ويقبل عليها بشغف دون كلل أو ملل وهذا من أسباب انتشار الحكم بين الناس واندغامها في البيئة المجتمعية وتناقلها باعتبارها قيما عليا يحاول الناس أن يتمثلوها في حياتهم ومعاملاتهم.

٢. العنصر اللفظي:

الأعمال هنا عبارة عن الحركة الجسمانية أو القلبية والفرق بين الأفعال والأعمال أن الفعل لفظ عام، وهو عبارة عن إيجاد الأثر في الشيء من غير بطء كان عن سبب أو لا. أما العمل فهو عبارة عن إيجاد الأثر في الشيء مع امتداد زمان. عبرهذه الحكمة بالعمل لأن الإخلاص نوع من الأعمال التي لا يكون إلا بامتداد زمان وكذلك عمل الشكر وغير ذلك.

والصور جمع صورة، وهو ما يتشخص في الذهن من الكيفيات. والروح السر المودع في الحيوانات، وهو هنا عبارة عما يقع به الكمال المعتبر في الأعمال. والإخلاص إفراد القلب لعبادة الرب، وسره لبه، وهو الصدق المعبر عنه بالتبرى من الحول والقوة، إذ الإخلاص نفي الرياء والشرك الخفي. وسره نفي العجب وملاحظة النفس، والرياء قادح في صحة العمل، والعجب قادح في كماله فقط.

٣. العنصر الإيقاعي:

لزوم ما لا يلزم بأن يجيء قبل حرف الروي بما ليس بلازم في التاء قول "أرواحها و فيها" بحيث يتجسد تنظيما صوتيا بينهما.

٤. العنصر البنائي:

إن جميع القربات التي يقدمها العبد تتكون من عمل و قصد. فصلاح الأعمال مهما تنوعت تكون بصلاح القصد، قصد التقرب إلى الله، فلا أعمال دون قصد، ولا قصد دون عمل إلا في بعض الأحيان، كأن تكون النية سليمة و لا قدرة على الإتيان بالعمل كالصدقة و نحوها.

ولما كان الإخلاص شرطا في كل عمل ذكره بأثره فقال الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

الأعمال كلها أشباح وأجساد وأرواحها وجود الإخلاص فيها فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح وإلا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الأخلاص فيها وإلا كانت صوراً قائمة وأشباحاً خاوية لا عبرة

بها قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء[٢٧] وقال تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين[٢٨].

والإخلاص على ثلاث درجات درجة العوام والخواص وخواص الخواص، فإخلاص العوام هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور، وإخلاص الخواص طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية، وإخلاص خواص الخواص أخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية أو محبة وشوقاً إلى رؤيته كما قال ابن الفارض :

ليس سؤلي من الجنان نعيما ... غير أني أحبها لأراكا[٢٩]

وقال آخر (ينسب إلى رابعة العدوية) :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا ... في رياض ويشربوا السلسبيلا

ليس لي في الجنان والنار رأى ... أنا لا أبتغي بحبي بديلا

الحكمة الحادية عشرة

ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتائجه.

---

[٢٧]. القرءان الكريم. من أية ٥ سورة النباء

[٢٨]. القرءان الكريم. من أية ٢ سورة الزمر

[٢٩] أحمد طقش، *الحياة حب*، (الجيزة : أطلس للنشر والإنتاج الإسلامي)، ١٧٩.

١. العنصر المعنوي:

في هذه الحكمة ملفوظ الأمر الطلبي يتضافر التمثيل معه لتعضيد حجاجيته إذ عمل ابن عطاء الله على وضع تماثل بين التواضع ودفن النبت والجامع بينهما أن الأمرين معا ينتجان، أما الذي لا يتواضع فإن أمره مثل النبت الذي لا يدفن لا ينتج. فقد عمل التمثيل هنا على نقل القيمة المتفق عليها من المثال المعروف "دفن النبت ينتج وعدم دفنه لا ينتج" إلى الموضوع "دفن الوجود في أرض الخمول". وتكمن حجاجية هذا التمثيل في "تأكيد المعنى وتشديده وقوة إثباته بإثبات دليل أو شاهد يقطع بوجوده".

٢. العنصر اللفظي:

الدفن: هو التغطية والستر. والخمول سقوط المنزلة عند الناس وعدم الشهرة. والفرق بين الخمول والخلوة أن الخمول الذي يعنيه ابن عطاء الله هنا أعمّ من الخلوة فالحمول يعني الابتعاد عن الشهرة وعن خضم الأنشطة الاجتماعية والركون إلى الذات لاستكمال معارفها وتنمية خصائصها ومزاياها وتسليك النفس في مسالك التربية والتهذيب. وكما يكون ذلك عن طريق الاستعانة بسلسلة الحلوات المنسقة يكون عن طريق الاعتماد على دائرة ضيقة من المعلمين والمرشدين والأقران الذين يستعان بهم في السير على هذا الطريق. وهذا، إشارة عن المعنى الصريح المقصود من اللفظ عند تعدّد معاني المتقاربة.

ونتاج الشجرة ثمرتها، استعير هنا للحكم والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله، وذلك عند موت نفسه وحياة روحه.

٣. العنصر الصوري:

أرض الخمول من اضافة المشبة به الى المشبة اي الخمول الذي هو كالأرض للميت في التغطية التامة.

استعير لفظ "نتائجه" أي نتاج الشجرة للحكم والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله، وذلك عند موت نفسه وحياة روحه.

٤. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ " ادفن مع يدفن ".

٥. العنصر البنائي:

يقول ابن عطاء الله أنه قبل الظهور على مسرح الأحداث يجب أن تتعهد نفسك بالتربية و التزكية من معوقاتها (نفس أمارة بالسوء، شهوات، أهواء...). أما إن قفز الإنسان عن هذه المرحلة، فإنه يكون كالنواة التي على وجه التراب و بين الحجارة فلن تنمو أبدا.

ادفن وجودك في الخمول الذي هو الأرض الميت في التغعلية التامة، ولا تتعاط أسباب الشهرة، فان الخمول ما يعين على الإخلاص، بخلاف حب الظهور فانه من جملة القواطع القاصمة للظهور ، فان سلكت الطريق بعد شهر تك فالواجب عليك التواضع، فلا شيء أصر على المريد من الشهرة، وانتشار

الصيت. ومحبة الجاه و ايثار الاشتهار منافض للعبودية التي يطالب بها السالك.

قال الشيخ أبو العباس المرمى من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه[٣٠].

الحكمة الثانية عشرة

ما نفع القلب شيء مثل عزلة، يدخل بها ميدان فكرة.

١. العنصر المعنوي:

أن تقديم المفعول عن الفاعل (ما نفع القلب شيء)لا يفيد إلا الاهتمام دون حصر و قصر.

ويؤتى بالمسند إليه نكرة (شيء) للتقليل, التقييد بالنعت (مثل العزلة) لتخصيص المنعوت بصفة تميزه.

٢. العنصر اللفظي:

النفع إيصال الفائدة. والقلب: القوة المستعدة لقبول العلم. والعزلة: انفراد القلب بالله، وقد يراد بها الخلوة التي هي انفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا، إذ لا ينفرد القلب في الغالب إلا إذا انفرد القالب.

---

٣٠. عبد الله بن حجازي الشرقاوي، *المنح القدسية على الحكم العطائية*، (لبنان : دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ٤٢.

لم يعبر بكلمة العزلة معرفة وانما يذكر نكرة. والمعني أن ما بين النكرة والمعرفة فرق دقيق في المعني كلمة عزلة منكرة تدل على التقليل بينما المعرفة بـ أل تدل على التكثير. فعندما يقول : (ما نفع القلب مثل عزلة) يعني مثل شيء من العزلة ولو قال: ما نفع القلب مثل العزلة لكان معناه: ما نفع القلب شيء مثل العزلة الدائمة. وهو إنما يريد التنبيه إلى أن المشروع والمطلوب إنما هو شيء من العزلة لا أن يتخذ الإنسان منها منهجا فيبتعد عن المجتمع ويقصي نفسه عن الدنيا في كهف من الغربية والابتعاد عن الماس وشؤونهم إن هذا الثاني يتنافى مع الفطرة الإنسانية إن الإنسان اجتماعي فمن أجل هذا ساق ابن عطاء الله الكلمة نكرة ولم يأت بها معرفة بـ « ال » .

ميدان مجال الخيل استعيرها هنا للأفكار، إذ ترددها في مواقعها كتردد الخيل في مجالها. والفكرة سير القلب إلى حضرة الرب، وهي على قسمين: فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان.

٣. العنصر الصوري:

الصورة البيانية هنا في قول "يدخل بها ميدان فكرة" فالميدان بالفتح والكسر هو مجال الخيل ولقد شبه هنا الفكرة التي ترد وتتردد على المتجه إلى الله بتردد الخيل في مجالها. وهو تصوير دقيق للمعنوي وهو الفكرة بالمحسوس الذي هو ميدان الخيل. وما أروع تعبيره عن الفكرة بـ" الميدان " ففي هذه الصورة الرائعة

إشارة إلى تنوع الأفكار واتساع ميادينها خاصة مع العزلة والإقبال بالكلية على الله عز وجل.

ومن هنا كان التعبير عن الفكرة بـ" الميدان " مناسبا للمعنى أتم مناسبة وكانت الصورة ملائمة للمقصود أتم ملاءمة وكما أن الخيل تتردد في الميدان ذهابا وإيابا فكذلك الأفكار النافعة تتلاحق وتتابع على صاحب العزلة المنفرد بقلبه وقالبه عن الناس وتتلاحق في قلبه أنوار الهداية والرشاد.

٤. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالتاء المربوطة (عزلة و فكرة).

توازن الكلمة بلإيقاع الموحدة في الحركات والسكنات أو السجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين (عزلة و فكرة).

٥. العنصر البنائي:

هذه الحكمة تُركز على ضرورة اتخاذ الإنسان ساعات من العزلة بين الفينة و الأخرى يخلو فيها إلى نفسه كي يُقومها.

لا شيء أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة، لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء فلا ينفع الدواء من غير حمية، ولا فائدة في الحمية من غير دواء. فلا خير في عزلة لا فكرة فيها، ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها، إذ المقصود من العزلة هو تفرغ القلب، والمقصود من التفرغ هو جولان القلب واشتغال الفكرة، والمقصود من اشتغال الفكر تحصيل العلم وتمكنه من القلب، وتمكن العلم بالله

من القلب هو دواؤه. وغاية صحته وهو الذي سماه الله القلب السليم. قال تعالى في شأن القيامة: ‘‘يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم’’[٣١].

الحكمة الثالثة عشرة

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته ؟

أم كيف يرحل إلى االله، وهو مكبل بشهواته ؟

أم كيف يطمع أن يدخل حضرة االله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟

أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار، وهو لم يتب من هفواته ؟

١. العنصر المعنوي:

الإطناب بتكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا (كيف). ويطلب بها تعيين الحال. وتعرب في محل نصب على الحال لأن ما بعدها فعل تام.

وتقديم المفعول عن الفاعل (قلب صور الأكوان) لا يفيد إلا الاهتمام دون حصر وقصر.

و ذكر "أم" كحرف عطف، وهي هنا تفيد التقسيم الواقع بعد الإستفهام.

٢. العنصر اللفظي:

---

[٣١]. القرأن الكريم. سورة الشعراء. أية ٨٨ – ٨٩.

يشرق أي يستنير ويضيء. وصور الأكوان أشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية. والأكوان أنواع المخلوقات دقت أو جلت. ومنطبعة: أي ثابتة. وأنطبع الشيء في الشيء: ظهر أثره فيه.

والمرآة بكسر الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها، فكلما قوى صقلها قوى ظهور ما يقابلها فيها، واستعيرت هنا للبصيرة التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبيحها.

الفرق بين معاني الكلمات ذهب ورحل وغادر، اما ذهب الذهاب السير والمُرور، والفعلُ منه ذهب يَذْهَب والمصدرُ الذهابُ والمَذْهَب. ورحل يرحل رَحيلا اي رَحَل عن المكان يَرْحَل وهو رَاحِل من قوم رحل على معنى انتقل وأما غادَر على معنى ترك يغادر المكان يتركه، ويُغادر الشيء يتركه والمعنى أن الرحيل فانتقال من المكان إلى غيرهِ يَكب فيه الراحل ركوبته وأما المُغادرة فترك يخلف فيه المغادر شيئا وراءه يعنيه ومنه سمي الغدير لأن السيل يُغادره. وفي هذه الحكمة الرحيل هو النهوض والإنتقال من وطن إلى وطن. وهذا من انتقاء الألفاظ والكلمات والمصطلحات المناسبة لنوع البحث وطبيعته للحكمة. و

المراد بالشهوات كل ما تشتهيه النفس وتميل إليه. لحضرة هي حضور القلب مع الرب. وهي مقسمة على ثلاثة أقسام: حضرة القلوب، وحضرة الأرواح، وحضرة الأسرار. فحضرة القلوب للسائرين.

قال ابن عطاء الله بأسلوب ”وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته" تتأثر أن من غفلاته الشبيهة بالجنابة، فكما يمنع الجنب من دخول المسجد، كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخول حضرة الرب.

وتعجب ابن عطاء الله بكلمة "الهفواة" بأن تصدر منها المعاصي، لا منقصد لما فيه من الجمع بين الأضداد، وهو محال، وهذه الأشياء المذكورة متضادة، فإن إشراق القلب بنور الإيمان، واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه بالركون إلى الأغيار والأكوان واعتماده عليها.

والمسير إلى **الله** تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات، ودخول حضرة **الله** المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة الغفلات التي مقتضاها الإبعاد، وفهم دقائق الأسرار المستفاد من التقوى مضاد للإصرار على المعاصي والهفوات.

٣. العنصر الصوري:

هذه الحكمة مفعمة بالصور البيانية في أكثر من موضع :

أ. في قول " كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته ؟". تشير إلى أن القلب الذي يميل إلى الدنيا وشهواتها وملاذها ويتعلق بالناس وينحصر في الملاذ الحسية ويتبع هواه لا تتفتح له أبواب الهدى ولا تشرق على قلبه أنوار الهداية ولا يرى إلا شهوات الدنيا وملاذها وذلك لأن حب الدنيا والميل إليها قد انطبع فيه.

وما أروع تعبيره هنا بقول "صور الأكوان منطبعة في مرآته؟" إشارة إلى تمكن حب الدنيا وملاذها وشهواتها من القلب بحيث تنطمس البصيرة وتستحكم الغفلة. فالتعبير بـ" الطبع " هنا مما صور هذا المعنى أدق تصوير. فالطبع للشيء يطلق على " تصويره في صورة ما. يقال : طبع الله الخلق أي أنشأه. فالطبع يتضمن انطباع الصورة ويتضمن الختم والانغلاق معا وهو هنا مما ناسب الصورة والمعنى أتم المناسبة. ولذلك ذكر قبله "صور الأكوان" مع الإضافة ليشير إلى هذا المعنى ومما زاد هذه الصورة جمالا أنه استعار " المرآة " هنا للبصيرة. فالمرآة : آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فكلما قوي صقلها قوي ظهور ما يقابلها فيها. واستعيرت هنا للبصيرة التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبيحها. فالمرآة الصقيلة تظهر الإنسان على ما هو عليه بما فيه من محاسن ومساوئ حسية وينطبع فيها ما يظهر ويتجلى أمامها من الأمور الحسية وكذلك القلب يستقر في عينه ما أشربه من طاعة لله وإقبال عليه أو حب للدنيا وإدبار عن الآخرة.

ب. وفي قول "أم كيف يرحل إلى االله ، وهو مكبل بشهواته ؟" فالرحيل هو النهوض والانتقال من وطن إلى وطن وعبر به هنا للانتقال من الوقوف مع الأسباب إلى رؤية مسبب الأسباب أو من وطن الغفلة إلى وطن اليقظة أو من حظوظ النفس إلى حقوق الله. وإذا كان الرحيل يتطلب الإطلاق وعدم التكبيل فلا رحيل مع التكبيل وهو ما عبر به هنا عن تعلق القلب بالشهوات

التي تمنعه من النهوض إلى الله عز وجل لاشتغاله بالالتفات إليها. وما أروع تصوير هذه الحال بصورة المكبل فلما كان المكبل لا يستطيع السير لتقييد حركته كان الغارق في الشهوات قلبه ممنوعاً عن الوصول إلى الله عز وجل فهو محبوس في هوى نفسه مقيد بشهواتها. ثم أضاف إلى هذه الصورة صورة أخرى بقوله " أم كيف يطمع أن يدخل حضرة االله ، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟".

ج. وفي قول " أم كيف يطمع أن يدخل حضرة االله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟". الدخول في طريق الله يتطلب الطهارة أي طهارة القلب وصاحب الغفلة قلبه متعلق بالدنيا وهواه وشهواته غارق في غفلاته وهي الحالة التي شبهها بالجنابة .فلما كانت الجنابة مانعة من دخول الأماكن الطاهرة فكذلك القلب الغافل اللاهي الغارق في ملذات الدنيا لا دخول له في طريق السالكين إلى الحق عز وجل. والتعبير عن الغفلة هنا بـ" الجنابة " تعبير دقيق فلم يعبر مثلا بما هو أقل منها من أنواع الحدث الأخرى. وذلك فيما يبدولي لأن الأمر يتصل بالقلب. فالجنابة من الحدث الأكبر المانع من دخول الأماكن الطاهرة أما مع الحدث الأصغر فيجوز له أن يدخل إلى الأماكن الطاهرة لكن مع الجنابة فلا. وكذلك معاصي الجوارح مع التوبة والاستغفار ضررها أقل في دين المرء من ضرر معاصي القلوب التي تستقر في أصل موطن الإيمان ومنتهاه وهي أسرع في إفساد دين المرء من غيرها من المعاصي الأخرى . وابن عطاء

الله هنا قد أتى بهذه الصور الثلاث على الترتيب مبتدئا بالصورة الأولى ثم بالصورتين التاليتين على سبيل التنويع والتلوين والتفنن في التصوير.

٤. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (مرآته و بشهواته و غفلاته و هفواته).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بلألف (مرآته و بشهواته و غفلاته و هفواته).

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ "كيف و أم".

توازن الكلمة بلإيقاع الموحدة على وزن أفعال أو السجع المرصع بتوافق أكثر من فاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهم في الفقرتين (مرآته و بشهواته و غفلاته و هفواته) . وهنا تساوت الفقرتان وهذا من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه. ويلاحظ على هذه الحكم مناسبة الألفاظ لمعانيها وتلاحمها مع قوافيها.

الإيقاع المتنوع بقدر ما تنوع في هيكلها العام و نتوحد في أجزاء منها أي أن وحداتها الصوتية المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات وتوازن المفراد حيث تتنظم في نظام نبري (يشرق و يرحل و يطمع و يرجو) (أن يدخل و أن يفهم) (صور الأكوان و حضرة االله و دقائق الأسرار).

٥. العنصر البنائي:

بعد ما قال ابن عطاء الله عن العزلة الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وأنمحت من مرآة قلبه صور الأغيار وقد أشار إلى بعض ذلك متعجبا من ضده فقال كيف يشرق ... إلخ.

وكل واحد من هذه الأربعة سبب لما بعده، فانطباع صور الأكوان في مرآة القلب سبب في تكبله بالشهوات، والتكبله سبب في الغفلة، وهي السبب في كل هفوة، والهفوة سبب في عمى القلب.

جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها وليس لها إلا وجهة واحدة، فإذا أراد الله عنايته بعبد شغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته، ولم يعلق قلبه بمحبة شيء من الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية، فانطبعت في مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان، وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان.

وإذا أراد الله تعالى خذلان عبد بعدله وحكمته أشغل فكرته بالأكوان الظلمانية والشهوات الجسمانية، فأنطبعت تلك الأكوان في مرآة قلبه، فأنحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية عن أشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان. فكلما تراكمت فيها صور الأشياء إنطمس نورها واشتد حجابها، فلا ترى إلا الحس ولا تتفكر إلا في الحس، فمنها ما يشتد حجابها، وينطمس نورها بالكلية، فتنكر وجود النور من أصله، وهو مقام الكفر والعياذ بالله. ومنها ما يقل صداها ويرق حجابها، فتقر بالنور ولا يشاهده، وهو مقام عوام المسلمين، وهم متفاوتون في القرب والبعد وقوة

الدليل وضعفه، كل على قدر يقينه، وقلة تعلقاته الدنيوية، وعوائقه الشهوانية، وخيالاته الوهمية.

واعلم ان الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت في حضرة القلوب، فإذا استراحت بالوصال سميت روحا وكانت في حضرة الأرواح، وإذا تمكنت وتصفت وصارت سراً من أسرار الله سميت سراً وكانت في حضرة الأسرار.

الحضرة مقدسة منزهة مرفعة لا يدخلها إلا المطهرون، فحرام على القلب الجنب أن يدخل مسجدا الحضرة، وجنابة القلب غفلته عن ربه. قال تعالى ‘‘يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا’’: أي لا تقربوا صلاة الحضرة وأنتم سكارى بحب الدنيا وشهود السوى، حتى تتيقظوا وتتدبروا ما تقولون في حضرة الملك، ولا جنباً من جماع الغفلة وشهود السوى حتى تتطهروا بماء الغيب.

الحكمة الرابعة عشرة

الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون، ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار.

١. العنصر المعنوي:

يؤتى بالمسند إليه معرفا (الكون) للاشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها.

و أما التوكيد (كله) فيوتى به للأغراض التي يدل عليها للتقرير مع دفع توهم عدم الشمول.

القصر بإنما فمعناه تخصيص أناره بظهور الحق وقصره عليه.

من اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ومع أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب (فقد أعوزه وجود الأنوار).

وقدم المفعول (عنه) عن الفاعل (شموس المعارف) لا يفيد إلا الاهتمام دون حصر و قصر.

مراعاة النظير أو الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد في قول : فيه، أو عنده.

الطباق أو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى وذالك في قول: قبله أو بعده.

٢. العنصر اللفظي:

الكون ما كونته القدرة، وأظهرته للعيان. والظلمة ضد النور وهي علمية والتور وجود. آثاره أو جده، وصيره نورا. ورجح ابن عطاء الله الحكمة بالكون ولا بالمحرة. والفرق بينهما أن الكون يمكن أن تتكون من أي شيء من حولنا الأرض والطاقة والسماء والمجرات وكل ما ينظر إليه من حولنا يأتي تحت مصطلح الكون. والمجرة يمكن أن يطلق على مجموعة النجوم أو نظام النجوم،

هو النظام الذي يتكون من النجوم والغاز والكويكبات والغبار والمادة المظلمة. وكانت قوة مركزية يعرف ثقب أسود يحمل كل هذه معا. يتكون الكون من الأرض وغيرها من الأجرام السماوية في الفضاء الخارجي والنظام الشمسي هو جزء من الكون. والحاصل أن المجرة هي جزء من الكون. الكون له مفهوم أوسع من المجرة ككل شيء يتم تضمينها في ذلك. وهذا من احدى ما رعى ابن عطاء الله في حسن اختيار الألفاظ إشارة إلى المعنى الصريح المقصود من اللفظ عند تعدد معاني.

ظهور الحق فيه أي ظهوره عز وجل، وتجليد، بمعنى أنه تعالى عليه بذاته، وقال له: كن فكان. لم يشهده فيه: أي احجيه ما في الكون عن المكون وهو الله سبحانه وتعالى. أعوزه فاته. وجود الأنوار: أي الأنوار الالهية التي درك بها مشاهدة الله على وجه ما حجت غايت.

شموس العارف المعارف التي الشموس. من اضافة المشبه به الى المشبه. بسحب الآثار أي بالآثار رهي المكونات التي كالسحب. من اضافة المشبه به إلى المشبه.

٣. العنصر الصوري:

التشبية في قول ’’وإنما أناره" أي أوجده "ظهور الحق" أي: **الله** "فيه" كظهور الشمس في الكوة ذات الزجاج، فليس هناك إلا وجود واحد، وهو وجود الحق

وبظهوره في الأشياء وجدت على حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود في ذاتها.

شبه أيضا لفظ المعرف بالشموس في قول "وحجبت عنه شموس المعارف" أي المعارف التي كالشموس لأنها تذهب بكل ظلمة ونور وتكشف عن حقائق الأمور مع علوها وارتفاعها وعموم النفع بها "بسحب الآثار" أي بالآثار، وهي الأكوان التي كالسحب، جمع سحاب بجامع أن كلا يحجب ما وراءه.

وأشار ابن عطاء الله بذلك إلى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة في شهودهم، فمنهم من يشاهد المكون قبل الأكوان، فإذا وقع بصره على شيء كحيوان يشاهد قيام الحق وظهوره فيه، وأنه المحرك والمسكن له قبل أن يخطر له كونه أداميا أو شاه طويلا أو قصيرا ... إلى غير ذلك. ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع، وهذا تقريب للإفهام، وإلا فهذا أمر لا يدرك إلا بالذوق وما كان كذلك تقصر عنه العبارة.

٤. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (ظلمة وفيه وعنده وقبله وبعده).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بلألف (الأنوار و الآثار) والواو (ظهور ووجود وشموس).

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ " الكون".

مراعة السجع المرصع بتوافق أكثر من فاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهم في الفقرتين (الأنوار و الآثار). وهنا تساوت الفقرتان وهذا من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه. ويلاحظ على هذه الحكم مناسبة الألفاظ لمعانيها وتلاحمها مع قوافيها.

توازن الجملة بالإيقاع المتنوع بقدر ما تنوع في هيكلها العام على الإضافية و نتوحد في أجزاء منها أي أن وحداتها الصوتية المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات وتوازن المفراد حيث تتنظم في نظام نبري (ظهور الحق و وجود الأنوار و شموس المعارف).

٥. العنصر البنائي:

هذه الحكمة حصيلة مكثفة لقول الله تعالى: {الله نور السموات والأرض} بعد أن يبحث ابن عطاء الله عن قلب لإنسان من مامضى وذكر بعده أن كل ما في الأكوان ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه.

العدم ظلمة، والوجود نور، فالكون بالنظر إلى ذاته عدم مظلم، وباعتبار تجلي نور الحق عليه، وظهوره فيه، وجود مستنير، ثم اختلفت أحوال الناس ههنا، فمنهم من لم يشاهد إلاّ الأكوان، وحجب بذلك عن رؤية المكوّن، فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب آثار الكائنات، ومنهم من لم يحجب بالأكوان عن المكون، ثم هم في مشاهداتهم إياه فرق: فمنهم من شاهد المكون قبل الأكوان، وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار، ومنهم من شاهده بعد الأكوان،

وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر، ومنهم من شاهد مع الأكوان، والمعية ههنا، إما معية اتصال، وهو شهوده في الأكوان، وإما معية انفصال، وهو شهوده عند الأكوان. وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية، لأن الزمان والمكان من جملة الأكوان، والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيها، فإنها أيضا من جملة الأكوان، ومعرفة تفصيل هذه الأمور، والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول إلى أربابه، فلنقتصر على ما ذكرناه، فههنا زلت أقدام كثير من الناس، فتكلموا بكلمات موهمة، وعبروا بعبارات منكرة في الشرع، فكفروا بذلك، وبدعوا، فاعتقد كمال التنزيه، وبطلان التشبيه. وتمسك بقوله عز وجل: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[٣٢] سبحانه لا إله غيره[٣٣]

الحكمة الخامسة عشرة

مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه.

١. العنصر المعنوي:

تقديم خبر مقدم يتعلق بكائن أو استقر مقدر لتنبيه من أول الأمر على أنه خبر.

---

[٣٢]. القرآن الكريم, سورة الشعراء. أية ١١.

[٣٣]. أحمد فريد لمزيدي، *إحياء القلوب*، (لبنان: دار الكتب العلمية)، ١٨٦.

إيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم. ومن دواعيها دلت عليه قرينة كون المسند إليه معينا معلوما يعني الله سبحانه وتعالى.

ويوتى التوكيد (أن) للأغراض التي يدل عليها لإرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع.

النفي من حلال تضاد تستشعر من خلاله مدى الإثارة العاطفية التي تنفي الموجود عن مهمة البشرية مقرونة بتأكيد الظاهرة من حلال (إن).

٢. العنصر اللفظي:

من أسمائه تعالى القهار ومن مظاهر قهره إحتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه وبطونه في ظهوره ومما يدلك أيضا على وجود قهره. والقهر وهو الغلبة والأخذ بالقوة يقال قهره أي غلبه. قالوا القاهر هو الذي له علو القهر الكلي المطلق باعتبار جميع المخلوقات وعلى اختلاف تنوعهم، فهو قاهر فوق عباده له علو القهر مقترن بعلو الشأن والفوقية. وجود قهره سبحانه أن حجبك ... الخ. بخلاف لفظ الكره اي الكاف والراء والهاء يدل على خلاف الرضا والمحبة بدون القهر والقوة. وهذا من التناسق بين الألفاظ يحصل عندما يحتل كل لفظ مكانه المناسب في الجملة.

والكُرْه الاسم.

وإن إحتجب بلا حجاب وقرب بلا إقتراب بعيد في قربه قريب في بعده إحتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم وظهر لهم في حال إحتجابه عنهم فاحتجب عنهم

بشيء ليس بموجود وهو الوهم والوهم أمر عدمي مفقود فما حجبه إلا شدة ظهوره وما منع الأبصار من رؤيته إلا قهارية نوره فتحصل إنفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (سبحانه و معه).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالواو (على وجود و ليس بموجود).

التجانس بالعبارة أن تتوحد الأصوات أي تكون حاضعة لحرف واحد (الدال).

٤. العنصر البنائي:

بعد نستدل على وجوده بوجود الكون وهذا لعامة المسلمين من أهل اليمين قد أعوزهم أي فاتهم وجود الأنوار ومنعوا منها وحجبت عنهم شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها وأشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم إحتجابه تعالى في حال ظهوره مما يدلك على وجود قهره كما أشار إليه ابن عطاء الله في هذا الحكم.

(مما يدلك على وجود قهره سبحانه، أن حجبك عنه) خطاب لعامة الناس (بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين وإشارتهم ومواجيدهم على ما ذكر من أن ما سوى **الله**، عدم محض من حيث ذاته، لا يوصف بوجود مع **الله**

تعالى.قال بعض العارفين: "أبى المحققون أن يشهدوا غير **الله** لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية."

ومع كون ما ذكر عدما، فهو حجاب عن **الله** تعالى، فإن الناس لا يشهدون عند نظرهم للأكوان إلا هي، ولا يشاهدون مكونها، مع أنها لا وجود لها، والوجود إنما هو له سبحانه، فهذا مما ينفي منه العجب. قال تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ واسم الفاعل حقيقة في الحال ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل.

الحكمة السادسة عشرة

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟

كيف يصور أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟

يا عجبا ! كيف يظهر الوجود في العدم !؟

أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم !؟

١. العنصر المعنوي:

الإطناب بتكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا (كيف). ويطلب بها تعيين الحال. وتعرب في محل نصب على الحال لأن ما بعدها فعل تام. والأغراض من إلقاء الإستفهام ليس بمجرد الجواب بل لاتطلب منها الجواب مع أن الأغراض التعجب ودفع التوهم على السامع.

التوكيد بتكرار الجمل الشامل ويقصد به أن يتم التكرار من خلال النص بأكمله (كيف يصور أن يحجبه شيء) تسعة مرات لتنبيه السامع على أنها من أهم الأمر على سبيل التعجب.

التكرار الدلالي ويقصد به تكرار الموضوعات وليس الألفاظ، سواء أكانت هذه الموضوعات مقترنة بألفاظ متكررة أو غير مقترنة بها (أظهر كل شيء و ظهر بكل و ظهر في كل شيء و ظهر لكل شيء و الظاهر قبل وجود كل شيء و أظهر من كل شيء).

الإيجاز بحذف مرجع الضمير ألا وهو لفظ الجلالة لتعظيم درجته بالقرب و ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن.

وأظهر اسم الموصول بعد الضمير بجعل الفعل نعتا لما قبلها لأغراض توضيح المنعوت.

وتخرج أداة النداء (يا عجبا) عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق للتعجب, ليس لطلب المتكلم إقبال المخاطب عليه.

التقابل بالجمع بين لفظين متقابلين في المعنى بين المفردات (الوجود والعدم) و(الحادث والقدم).

٢. العنصر اللفظي:

"ذكر ابن عطاء الله أول هذه الحكم متعجبا بقول"كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء" والظاهر هو الباطن ما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة فحياض الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت، أنظر جمالي شاهدا في كل إنسان، الماء يجري نافدا، في أس الأغصان، تجده ماء واحدا، والزهر ألوان، يا عجبا كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، عجبت لمن يبغي عليك شهادة، وأنت الذي أشهدته كل شاهد.

الحجاب والستر والغطاء من ألفاظ التي تتقرب في المعنى ولكن بينهم الفرق الدقيق أن الستر هو ما يسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقا لك مثل الحائط والجبل، والغطاء لا يكون إلا ملاصقا ألا ترى أنك تقول تسترت بالحيطان ولا تقول تغطيت بالحيطان وإنما تغطيت بالثياب لأنها ملاصقة لك. وأما الحجاب فهو في اللغة الشيء الذي يحول بين شيئين ولذلك أطلق على الغشاء الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة اسم الحجاب الحاجز. فتقول حجبني فلان عن كذا ولا تقول سترني عنه ولا غطاني وتقول احتجبت بشيء كما تقول تسترت به.

فالحجاب هو المانع والممنوع به والستر هو المستور به. ويجوز أن يقال حجاب الشيء ما قصد ستره ألا ترى أنك لا تقول لمن منع غيره من الدخول إلى الرئيس داره من غير قصد المنع له أنه حجبه وإنما يقال حجبه إذا قصد منعه، ولا تقول احتجبت بالبيت إلا إذا قصدت منع غيرك عن مشاهدتك ألا ترى انك إذا جلست في البيت ولم تقصد ذلك لم تقل أنك قد اجتجبت. وفرق آخر أن الستر لا يمنع من الدخول على المستور والحجاب يمنع. والحجب في هذه الجكمة على هذا المعنى يمنع من الدخول على المحجوب. وهذا من اختيار الألفاظ التي تعبر مباشرة عن المعنى المقصود بشكل مختصر وواضح.

ثم ذكر الثاني فقال: "كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء"

لا وجود لشيء مع وجوده فكيف يحجبه شيء والغرض أن لاشيء.

ثم ذكر الثالث فقال: " كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء"

بقدرته وحكمته القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وقد تقدم قول بعضهم:" ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه" أي بقدرته وحكمته فلولا ظهور أنوار الصفات ما عرفت الذات ولا الحس ما قبضت المعني ولولا الكثيف ما عرفت اللطيف.

ثم ذكر الرابع فقال: "كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر لكل شيء"

أي المتجلي لكل شيء بأسرار ذاته وأنوار صفاته ولما تجلى لكل شيء وعرفه في الباطن كل شيء وسبح بحمده كل شيء فلم يجبه شيء عن شيء قال الله تعالى: " وأن من شيء إلا يسبح بحمده " يقول بلسان حاله سبحان المتجلي لكل شيء الظاهر بكل شيء يفقهه العارفون ويجهله الغافلون.

ثم ذكر الخامس فقال:" كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء"

فكل ما ظهر فمنه وإليه فكان في أزله ظاهراً بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه فهو الغني بذاته عن أن يظهر بغيره أو يحتاج إلى من يعرفه غيره فالكون كله مجموع والغير عندنا ممنوع.

ثم ذكر السادس فقال:"كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء" إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها فلولا ظهوره في الأشياء ما وقع عليها أبصارفالعبد في حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضروريا ووجود الحق تعالى عنده نظرياً فإذا عرف الحق وفنى عن نفسه وتحقق بزوالها صار عنده وجود الحق ضروريا ووجود نفسه نظريا بل محال ضروري.

ثم ذكر السابع فقال:"كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء"

لتحقق وحدانيته أزلاً وأبداً كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أفي الله شك فكل ما ظهر للعيان فإنما هو مظاهر الرحمن.

فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله فلا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه.

ثم ذكر الثامن فقال:"كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء"

قال تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " وقال تعالى: " ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون " وقال تعالى: " وكان الله على كل شيء رقيباً وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى " وقربه تعالى قرب علم وإحاطة وشهود لاقرب مسافة إذ لا مسافة بينك وبينه.

ثم ذكر التاسع فقال:" كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه لما ظهر وجود كل شيء"

قال تعالى: " وخلق كل شيء فقدره تقديراً " وقال تعالى: " إنا كل شيء خلقناه بقدر " فكل ما ظهر في عالم الشهادة فهو فائض من عالم الغيب وكل ما برز في عالم الملكوت فهو فائض من بحر الجبروت فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة لها معه إذ هي عدم محض وعلى توهم وجودها فهي حادثة فانية ولا نسبة للعدم مع الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب

الشيخ من إجتماعهما فقال:" يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم"

وهذا هو العاشر فالوجود والعدم ضدان لا يجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر أن الحق واجب الوجود وكل ما سواه عدم على التحقيق فإذا ظهر الوجود أنتفي ضده وهو العدم فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم فالحق لا يحجبه الباطل قال تعالى: " فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال " فلا وجود للأشياء مع وجوده فأنتفى القول بالحلول إذ الحلول يقتضي وجود السوى حتى يحل فيه معنى الربوبية والفرض أن السوى عدم محض فلا يتصور الحلول،والقديم والحادث لا يلتقيان فإذا قرن الحادث بالقديم تلاشي الحادث وبقي القديم.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهمزة (كل شيء) واللام (ظهر بكل) والميم (في العدم).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بلألف (شيء).

التجانس بالجمل المكررة المنتظمة في لفظ "كيف يتصور أن يحجبه شيء ".

مراعة السجع المرصع بتوافق أكثر من فاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهم في الفقرتهم وكذالك توازن الألفاظ، مع توافق الأعجاز (شيء, يذكر ثمنية مرات من الفقرات).

وتساوت الفقرتان (العدم والقدام) وهذا من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه. ويلاحظ على هذه الحكم مناسبة الألفاظ لمعانيها وتلاحمها مع قوافيها.

توازن الجملة بالإيقاع المتنوع بقدر ما تنوع في هيكلها العام و نتوحد في أجزاء منها أي أن وحداتها الصوتية المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات وتوازن المفراد حيث تتنظم في نظام نبري (أظهر و أقرب) و(ظهر) و (يظهر و يثبت).

٤. العنصر البنائي:

تضمنت هذه الحكمة عددا من الأدلة استدل بها ابن عطاء الله على أنه سبحانه وتعالى لا يحتجب بالأكوان، وأتى بها على سبيل التعجب، واستبعاد أن يتصور ذلك في الأذهان، فقد استدل على بطلان الحجاب في حقه تعالى بعشرة أدلة ، متعجبا من كل واحد منها ، لظهوره مع خفائه، أي لشدة ظهوره عند العارفين ، ولشدة خفائه عند الغافلين ؛ حتى قال ابن عباد : هذا الفصل من قوله و (الكون كله ظلمة) إلى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الإبداع ، وأتى فيه بما تقر به الأعين ، وتلذ به الأسماء.

الحكمة السابعة عشرة

ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره االله فيه.

١. العنصر المعنوي:

افتتح ابن عطاء الله قوله في هذا الحكم بـ"ما" النافية دخلت على المضارع لنفي الحال.

تقديم المفعول عن الفاعل لتقوية الحكم وتقريره في نفس السامع.

ذكر المسند إليه بالضمير الغيبة (أظهره) لكون الحديث في مقام الغيبة ولكون المسند إليه مذكورا قبله.

٢. العنصر اللفظي:

الجهل ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود، وهو على قسمين: بسيط ومركب، فالبسيا أن نجهل و يعلم أنه جاهل والمركب أن تمهل جهله وأقبح الجهل الجهل بالله وانكاره بعد طلب معرفته. والوقت هنا: الزمان الذي لا يقبل غير ما أظهره الله فيه. ولايقول في الحكمة الحمق مع ان معناه ضد العقل او قلته بل الجهل وترشد على من حسن الأدب أن يكون المريد راضيا بما أقامه الله فيه فان سخط من الحالة التي يكون عليها وتشوف إلى الانتقال عنها وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله فقد بلغ غاية الجهل وأساء الأدب وليس غاية الحمق بعدم العقل.

٣. العنصر الإيقاعي:

توازن الجملة بالإيقاع المتنوع وتوازن المفراد حيث تتنظم في نظام نبري (أراد و أظهر).

٤. العنصر البنائي:

من آداب العارف الحقيقي: أن يقر الأشياء في عملها، ويسير معها على سيرها فلا ينكر شبها ولا يمهل شيئا ولذا قال بعض العارفين: اليس في الإمكان أبدع مما كان، أي أن ما سبق في علم الله لا بد أن يكون، ولا يكون غير، فليس هناك أبدع منه .

و ترشد هذه الحكمة: إلى أن من حسن الأدب أن يكون المريد راضيا بما أقامه الله فيه فان سخط من الحالة التي يكون عليها وتشوف إلى الانتقال عنها وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله فقد بلغ غاية الجهل وأساء الأدب.

وإنما كانت معاندة الوقت غاية الجهل لانسداد أبواب العلم وطرقه في حق صاحب هذه الحالة .

وفي بعض الأخبار: يقول الله تبارك وتعالى ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلاني؛ فليخرج من تحت سماني وليتخذ ربا سواي.[٣٤]

الحكمة الثامنة عشرة

إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس.

١. العنصر المعنوي:

---

[٣٤]. محمد عبد الرؤوف المناوي، *فيض القدير شرح جمع الصغير*، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٥٩٥.

الإطناب لفائدة تقويته وتوكيده بالاعتراض لغرض يقصده المتكلم أن يؤتى في اثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة معترضة (الأعمال على وجود الفراغ)

٢. العنصر اللفظي:

الإحالة على الشيء هو تسليطه واغراؤه عليه والمراد هنا: توقف الأمر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده. والفراغ من الشيء خلوه منه وفراغ القلب: خلوه مما يشغله. وفراغ الجوارح: خلوها من الأشغال. والرعونات جمع رعولة وهي ضرب من الحماقة ولايقول بالحماقة اختصاصا على شأنيه فيغلن بصاحبها العقل وليس بعائل في نفس الأمر.

٣. العنصر الإيقاعي:

مراعة أساليب بالإضافة حيث تتنظم في نظام نبري (وجود الفراغ من رعونات النفس).

٤. العنصر البنائي:

ذكر ابن عطاء الله الأدب الثاني من آداب الحضرة القدسية وهي ترك الرعونات البشرية فقال أحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس.

الواجب على المرء أن يبادر إلى الأعمال الصالحة التي توصله إلى مولاه قبل فوات الأوان؛ ولذلك قيل: الوقت كالسيف أن لم تقطعه قطعك فعلى العاقل

المؤمن أن ينتهز فرصة عمل الطاعات وأن يتوكل على الله كي ييسرها له ويصرف عنه الموانع التي تحول بينها وبينه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[٣٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: ما من يوم إلا وهو ينادي: يابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم من فإني لا أعود إلى يوم القيامة هـ[٣٦].

.

الحكمة التاسعة عشرة

لاتطلب منه أن يخرجك من حال؛ لستعملك فيما سواها، فلو أرادك لا ستعملك من غير إخراج.

١. العنصر المعنوي:

ذكر أساليب الحكم إنشائيا بالنهي تستفاد من سياق الكلام للإرشاد السامع على ما ورد منه.

لم يذكر مرجع الضمير لفظا (منه) ادعاء أن المرجع دائم الحضور في الذهن.

---

[٣٥]. وأخرجه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) ، والبيهقي في "الآداب" (٩٩١) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤١١٧) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٧١٤١) ، وفي "الصغير" (٨٦٣) ، وفي "مسند الشاميين" (٤٦٣) من طريق عمرو بن بكر السكسكي، عن ثور بن يزيد وغالب بن عبد الله، عن مكحول، عن ابن غَنْم، عن شداد، به. وعمرو بن بكر السكسكي متروك اهـ .

[٣٦]. أخرج ابن أبى الدنيا فى كتابه الليالى و الأيام، ج ٢٤/١.

ويؤتي أسلوب لام الجحود على أنه أبلغ من غيره (لاتطلب منه أن يخرجك من حال؛ لستعملك) أبلغ في النفي من غير ذكر لام الجحود.

ولو (فلو أرادك) للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه فيلزم انتفاء الجزاء على معنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط. وتسمى لو حرف امتناع لامتناع. و (لا ستعملك) حملا على دخولها في جواب (لو) الشرطية.

٢. العنصر اللفظي:

يخرجك من حالة والمراد: حالة موافقة للشرع دينية كطلب العلم أو دنيوية كالمناعة.

ليستعملك فيما سواها يعني لتوهمك أن غيرها أرقي منها وأن ما أنت فيه عائق عن نهوضك لحضرته.

لو أرادك أي أحبك وجعلك سبحانه من أهل ارادته ومحبته وخاصته. استعملك من غير اخراج أي استعملك استعمالا محبوبا عنده بأن يوفقك للأعمال المالحة من غير اخراج من الحال التي أنت عليها. وقال ابن عطاء الله غير اخراج عن الحال التي أنت عليها لاقتباسه على أساليب القرآنية.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بلألف (حال و سواها و إخراج).

التجانس بالكلمة المكررة غير المنتظمة (لستعملك و لاستعملك).

٤. العنصر البنائي:

كما إذا كان المرء على حالة لاتوافق غرضه كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهر الله فيه كما تقدم في الحكم السابعة عشرة: ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره االله فيه.

ثم ذكر ابن عطاء الله الأدب الثالث من آداب الحضرة القدسية وهو إقامته حيث أقامه الله فقال لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لأستعملك من غير إخراج.

(لا تطلب منه أن يخرجك من حالة) دنيوية كصناعة، أو دينية كطلب علم، (ليستعملك فيما سواها) لتوهمك أن ما أنت فيه عائق عن وضك لحضرته.

(فلو أرادك) أي: أحبك وكنت من أهل الإرادة (لاستعملك) استعمالا محبوبا عنده، بأن يوفقك للأعمال الصالحة ويشغل قلبك به، (من غير إخراج) أي: مع بقائك على حالتك التي أنت عليها، فإذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه، كانت مباحة في الشرع، لا ينبغي أن يروم الخروج عنها بنفسه. وكذا لا ينبغي له أن يعارض حكم الوقت، ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها؛ لأن هذا من التخيير على االله ولا خيرة له في ذلك، بل ينبغي أن يطلب منه حسن الأدب، وإيثار مراده على اختياره، فإذا علم منه مولاه ذلك استعمله

استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على ما هو عليه، فيكون إذ ذاك بمراد **الله** لا بمراده لنفسه، وهو خير له مما اختاره .

ولو قال (لحصل لك المطلوب من غير إخراج) لكان أولى، أما لو كان على حالة لا توافق الشرع، يجب عليه المسارعة إلى الانتقال والطلب من مولاه أن ينقله إلى ما يرضيه.

الحكمة العشرون

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولاتبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها "إنما نحن فتنة فلا تكفر" (سورة البقرة ، آية ١٠٢.)

١. العنصر المعنوي:

ذكر أساليب الحكم إنشائيا بالنهي تستفاد من سياق الكلام للإرشاد السامع على ما ورد منه.

القصر بالنفي والاستثناء (ما أرادت ... إلا ونادته) و(ولاتبرجت ... إلا ونادته). وكذالك القصر بإنما (إنما نحن فتنة فلا تكفر).

التقابل بين المواقف أو الموضوعات (هواتف الحقيقة بـ "ظواهر المكونات") أن يتم التقابل مباشرة يشار لفظيا إلى الموضوعين المتقابلين

٢. العنصر اللفظي:

همة السالك هي القوة الباعثة له على السير ووقوفها مع الشيء: اعتقادها أن ما وصلت اليه هو الغاية أو فيه الكفاية. والهمة اتساع الهم وبعد موقعه، ولهذا يمدح بها الإنسان، فيقال فلان ذو همة وذو عزيمة. وأما قولهم: فلان بعيد الهمة وكبير العزيمة، فلأن بعض الهمم يكون أبعد من بعض وأكبر من بعض وحقيقة ذلك أنه يهتم بالأمور الكبار[٣٧].

والهمُّ: هو الفكر في إزالة المكروه، واجتلاب المحبوب، ومنه يقال: أهمُّ بحاجتي

نادته هواتف الحقيقة: هواتف هي جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه. أي قالت له بلسان الحال: الذي تطلبه أمامك، فلا تقف.

ترجت له أي أظهرت له زينتها.

ظواهر المكونات أي ما كساها من الحسن والحكمة.

حقائقها اي نورها الباطن وهو على المعنى فيها ونادته حقائقها: أي بواطنها بلسان الحال. فتنة ابتلاء واختبار . فلاتكفر أي فلا تفتن بنا ولا تقف عندنا فتحجب بنا عن معرفة الله.

٣. العنصر الإيقاعي:

---

[٣٧] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. معجم الفروق اللغوية. ايران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤٦

وتساوت الفقرتان (ما أرادت ... إلا ونادته) و(ولاتبرجت ... إلا ونادته) و(نادته هواتف وظواهر المكونات) ويلاحظ على هذه الحكم مناسبة الألفاظ لمعانيها وتلاحمها مع قوافيها.

التجانس و تكرار الألفاظ بالجمل المكررة المنتظمة في لفظ (إلا ونادته) مرتين.

٤. العنصر البنائي:

ثم ذكر ابن عطاء الله الأدب الرابع من آداب الحضرة القدسية وهو رفع الهمة عن الأكوان ودوام الترقي في مقامات العرفان فقال ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر.

والمعنى من هذه الحكم أن (ما أرادت همة سالك) أي: سائر إلى **الله** تعالى (أن تقف عند ما كشف لها) في أثناءالسلوك من المعارف والأسرار والأنوار بأن يرى أن ما وصل إليه من المعرفة وذوق الأحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية، فتقف همته عنه، ويتعشقه ويحبه أو يرى أن ما فوقه أعظم منه، لكنه يقنع بذلك ويرى أن فيه الكفاية فلا يرق مته أو يري قصور هامته عن الرقي لما فوقه (إلا ونادته هواتف الحقيقة) أي: الهواتف التي تف على قلبه من جهة الحقيقة الإلهية، ويحتمل أن المعني: إلا ناداه لسان الحقيقة التي كشفت له: سر وجد في السير ولا تقف فإن الذي تطلب وهو وصولك إلى المولى وعدم ركون قلبك إلى شيء سواه (أمامك) فلا تقف عند ما كشف لك. (ولا تبرجت)

أي أظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك وإقبالهم عليك والتوسعة في الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشي على الماء، والتربع في الهواء والاطلاع على أسرار الخلائق وخواص الموجود، وتكثير القليل من الطعام، وطي الأرض ونحو ذلك مما تميل النفس له (إلا نادته حقائقها) أي بواطنها نداء معنويا وإن لم تشعر به (إنما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أي فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا ولا تجعل نفسك رقا لنا، فتحتجب بنا عن **الله**؛ لأن ذلك كفر لحق المنعم، وشكر النعم بالإقبال على المنعم.

الحكمة الحادية والعشرون

طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبه منك عنه وطلبك لغيره، لقله حيائك منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه.

١. العنصر المعنوي:

التفصيل بصياغة موضوع الفكر نتبين من خلاله بحيث تتضح أجزائه على أربعة أقسام (طلبك منه وطلبك له وطلبك لغيره وطلبك من غيره) وكل منهم متقاطعا مع الاخر.

لم يذكر مرجع الضمير الغيبة ادعاء أن المرجع دائم الحضور في الذهن وعلى ما هو ضروري من الكلام (منه وله وعنه وغيره و منه).

الإطناب بتكرار الألفاظ (طلبك) لفائدة تقويتها وتوكيدها.

التنويع بصيغ ذات الدلالة المطلقة التي تدل بالفعل على ما هو ماض من الأشياء (طلبك كذا وكذا ثم كذا على أربعة أقسام).

٢. العنصر اللفظي:

طلبك منه: يكون بالتضرع والابتهال. طلبك له: يكون بالبحث والاستدلال. طلبك لغيره: يكون بالتعرف والاقبال. طلبك من غيره: يكون بالتملق والسؤال. وحاصلها أربعة: طلب الحق ومنه طلب الباطل وكلها مدخولة عند المتقين أما طلبك منه فلوجود مهمتك له لانك انما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك فانما ينبه من جوز منه الاغفاء وانا يذكر من يمكن منه الاهمال.

وأما طلبك له نهر دليل على غيبتك عنه فلو حضر قلبك وغنت عن نفسك ررهمك لما وجدت غيره:

أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن شهامة ذا فعل متهم

وأما طلبك لغيره قلقلة حيائك منه وعدم أنسك به. وأما طلبك من غيره فلوجود بعدك عنه إذ لو تخنقت بقربه منك وهو كريم ما احتجت الى سؤال غيره وهو لئيم.

رجح في هذه الحكمة استمال لفظ الطلب وليس بالسؤال والفرق بينهما قد فرق بينهما بأن السؤال يكون بالفعل والقول والسؤال يستدعي جوابا إما

باللسان أو باليد. والطلب قد يفتقر إلى جواب، وقد لا، وكل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤالا.

٣. العنصر الإيقاعي:

مراعة السجع بالهاء بحيث تنتظم نظام الأصوات (له وفيه و لغيره و منه وب عنه).

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة في لفظ "طلبك".

توازن الجملة بالإيقاع المتنوع بقدر ما تنوع في هيكلها العام ونتوحد وحداتها الصوتية المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات حيث تتنظم في نظام نبري في كل من فواصلها.

٤. العنصر البنائي:

ثم ذكر ابن عطاء الله الأدب الخامس من آداب الحضرة القدسية وهو ترك الطلب من حيث هو قال فيما يأتي ربما دلهم الأدب على ترك الطلب فقال طلبك منه أتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك منه.

والمعنى من هذه الحكم (طلبك منه اتهام له) يعني أن المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاهمن الأعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشيء من الأشياء؛ لأن ذلك مذموم قاطع عناالله، فإن طلبك منه أن يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له

بأنه لا يرزقك، إذ لو وثقت به في إيصال منافعه إليك من غير سؤال وتيقنت أنه عالم بحالك قادر على إيصالها لك لما طلبت منه شيئا.

(وطلبك له) بأن تطلب قربك منه، وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) إذ الحاضر لا يطلب، (وطلبك لغيره) من الأعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها، ومن المكاشفات والكرامات والأحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) إذ لو حصل لك حياء منه لماً التفت إلى غيره وطلبت شيئا سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت إلى بعض الناس لتطلب منه شيئا من أعراض الدنيا غافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) إذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا عنك، ولو كنت مشاهدا لقربه منك لاكتفيت به عن سائر خلقه لكن وجود البعيد قضى عليك بالشعور بالغير حتى توجهت إليه وطلبت منه، فالطلب كله من المريدين معلول، سواء كان متعلقا بالحق أو الخلق إلا ما كان منه على وجه التعبد والتأدب واتباع الأمر وإظهار الفاقة.

أما العارفون، فلا يرون غير **الله** تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وإن كان منه بحسب الظاهر.

الحكمة الثانية والعشرون

ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه.

١. العنصر المعنوي:

النفي من حلال الإستثناء لإفادة التحصيص والقصر (ما من نفس... إلا وله).

والنفي قد اقترن بأساليب تخلع عليه طابع الإثارة.

تقديم خبر مقدم يتعلق بكائن أو استقر مقدر لتنبيه من أول الأمر على أنه خبر (وله قدر).

لم يذكر مرجع الضمير الغيبة ادعاء أن المرجع دائم الحضور في الذهن وعلى ما هو ضروري من الكلام (له).

٢. العنصر اللفظي:

النفس بفتح الفاء عبارة عن دقيقة من الزمان. وتبديه اي تظهره بقدرة الله تعالى. القدر هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر وهو أعلم أوقاتها وأماكنها ومقاديرها وعدد أفرادها وما يعرض لها من الكيفيات وما ينزل بها من الآفات.

وقدر أمر مقدر ناشيء عن قدرته تعالى. يمضيه اي ينفذه كائنا ما كان.

وما الفرق بين النفس والروح؟ الروح في الغالب تطلق على ما به الحياة، سواء كان ذلك حساً أو معنى، فالقرآن يسمَّى روحا. قال الله – تعالى –: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَ}[الشورى: ٥٢]، لأنّ به حياة القلوب بالعلم والإيمان، والروح التي يحيا بها البدن تسمى روحاً، قال الله – تعالى –: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيل}[الإسراء: ٨٥]. أما النفس، فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيراً، كما في قوله – تعالى –: {اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}[الزمر: ٤٢] . وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه، فيقال جاء فلان نفسه، فتكون بمعنى الذات، فهما يفترقان أحياناً، ويتفقان أحياناً، بحسب السياق.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (تبديه و يمضيه).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء (تبديه و يمضيه).

تساوى الفاصلتين في الوزن والتقفية بإعطاء الزوم ما لايلزم (تبديه و يمضيه).

السجع الحسن المعتدل الذي طالت فيه الفقرة الثانية عن الأولى في قول : " ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه". وهذه الحكمة كما يلاحظ مما طالت فيه الفقرة الثانية عن الأولى.

٤. العنصر البنائي:

ثم ذكر الأدب السادس وهو التسليم والرضى بما يجري به القدر والقضاء فقال ما من نفس تبديه ألا وله قدر فيك يمضيه.

وحقيقة الرضى هو تلقي المهالك بوجه ضاحك وحقيقة التسليم أستواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار في أيهما يقيم وهذا هو مقام أهل الكمال الذين تحققوا بالزوال نفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم.

والمعنى من هذه الحكم (ما من نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن والمعنى أن كل نفس من أنفاسك (تبديه)

أي: تظهره بقدرة الله تعالى، لا تبديه (إلا وله) تعالى (فيك قدر) أي: أمر مقدر عليك من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أي: يبرزه بقدرتهفي ذلك النفس.

فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من أقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان. فينبغي لك الأدب معه ومراقبته في كل نفس من أنفاسك، فتكون في كل نفس سالكا طريقا إلى الحق سبحانه وتعالى وهو معنى قولهم الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.

الحكمة الثالثة والعشرون

لاتترقب فراغ الأغيار، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له، فيما هو مقيمك فيه.

١. العنصر المعنوي:

لم يذكر مرجع الضمير الغيبة ادعاء أن المرجع دائم الحضور في الذهن وعلى ما هو ضروري من الكلام (له وهو).

يؤتي المضارع المقرون بلا الناهية لدلالة على الإرشاد التي تستفاد من سياق الكلام (لاتترقب)

٢. العنصر اللفظي:

الترقب هو الإنتظار والأغيار جمع غير بكسر الغين وهو ما يغير القلب عن حاله والغالب أستعماله فيما يغيره من حالة الكمال إلى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها بخلاف النزول إنها يغير من أعلى إلى سفلى وهذا إشارة إلى المعنى الصريح المقصود في اختيار ألفاظ الحكمة. والمراقبة هي العسة على القلب لئلا يخرج من حضرة الرب.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (له وفيه).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء (لأغيار و فيه).

التجانس المطلقة الحرفين فصاعدا بالنسبة إلى مطلق العبارة في وسطها (الراء والألف والغين في قول فراغ الأغيار)

٤. العنصر البنائي:

ثم ذكر ابن عطاء الله الأدب السابع من آداب الحضرة القدسية وهو دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة فقال لا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما.

وتصدق بمراقبة الروح وهي عسها على دوام الشهود وبمراقبة السر وهي عسته على دوام الترقي والأدب.

والمعنى من هذه الحكم (لا تترقب) أيها المريد (فراغ الأغيار) الواردة على قلبك، وهو ظلمات تحدث فيه تحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه

(فإن ذلك يقطعك) (عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الأعمال التي تتوصلا إليه، فالمطلوب منك الم واظبة على ما أنت فيه، ومراقبة المولى في ذلك، ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور، ولو قال: (فإن ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه) لكان أولى، ووجه كونه قاطعا، أن نفسك تسول لك وتقول، لو كنت من أهل الإرادة لما وردت هذه الأغيار عليك مع كثرة عبادتك، فيشتغل قلبك ذه الوساوس وبما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده، وترك الأعمال الصالحة، وسبب هذه الأغيار غالبا مايرد عليك من أكدار الدنيا، وذلك أمر لا بد منه.

الحكمة الرابعة والعشرون

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذا الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها، وواجب نعتها.

١. العنصر المعنوي:

يؤتي المضارع المقرون بلا الناهية لدلالة على الإرشاد التي تستفاد من سياق الكلام (لا تستغرب)

النفي من حلال الإستثناء لإفادة التخصيص والقصر (ما أبرزت ... إلا ما هو). والنفي قد اقترن بأساليب تخلع عليه طابع الإثارة.

ويذكر مسند إليه بألضمير الغيبة لكون الحديث في مقام الغيبة ولكون المسند إليه في حكم المذكور لقرينة تستفاد من السياق (هو).

اللإطناب يفيد التوكيد بالتكرار في المعنى (مستحق وواجب).

٢. العنصر اللفظي:

الاستغراب تصيير الشيء غريبا حتى يتعجب منه. والأكدار كل ما يكدر على النفس ويؤلمها. ومستحق وصفها ما تستحق أن توصف به. وواجب نعتها ما يجب أن تنعت به.

وقال بعضهم الوصف يكون بالأمور اللازمة والنعت يكون بالعوارض الطارئة فالأمور اللازمة كالبياض والسواد والطول والقصر والعوارض كالمرض والصحة والفرح والحزن وغير ذلك والمراد هنا بالأوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والأمراض وما يقع كثيرا وبالنعوت ما يقل وقوعه في العادة كالفتن والهرج والزلازل لأنهم يقولون الأوصاف لوازم والنعوت عوارض وقيل شيء واحد وهو الأصح. وهذا من حسن انتقاء الألفاظ والكلمات والمصطلحات المناسبة لنوع البحث وطبيعته.

٣. العنصر الإيقاعي:

السجع المطرف بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخر أو المحفاظة على سجع في "لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذا الدار". والعبارة عبارة عن فقرات

قصار مسجوعة تتقمص أسلوب القرآن الكريم ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

٤. العنصر البنائي:

تنبيه! أن هذه الحكمة ليس هذا تكرارا مع ما تقدم في قوله أحالتك الأعمال على وجود الفراغ الخ لأن ذلك في عمل الجوارح وهذا في عمل القلوب يدلك على ذلك تعبيره هنا بالمراقبة وتعبيره ثم الأعمال والأفادة خير من الأعادة وبالله التوفيق وإذا حصلت لك المراقبة أو المشاهدة في حال الأغيار فلا تستغرب ما تراه من الأكدار لئلا يحصل لك الأنكار وإلى هذا أشار بقوله لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها.

والمعنى من هذه الحكم (لا تستغرب وقوع الأكدار) الموجبة للأغيار، بل الأغيار في ذاتها أكدار (ما دمت في هذه الدنيا، فإ نها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها، وواجب نعتها) أي: وصفها المستحق ونعتها الواجب اللازم، فمن ضروریاتها وجود المكاره والمشاق فيها، وسيأتي التنبيه على حكمة ذلك بقوله، وإنما جعلها محلًا للأغيار، ومعدنا لوجود الأكدار، تزهيدا لك فيها.

الحكمة الخامسة والعشرون

ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك.

١. العنصر المعنوي:

يؤتي المضارع المقرون بـ"ما" النافية لنفي الحال (ما توقف)

أن لا نافية للجنس التي (لا تيسر) كما هو مثبت في قواعد اللفة العربية فإذا إذن تنفي جنس الحول والقوة عن الإنسان فهو لايتمتع من ذالك كله بشيء إلا أن يمنحه الله من ذالك ما يشاء فأن تحرك أو سعي الإنسان فبقدرة الله يسعى ويتحرك.

التفصيل والتقسيم التي تعني تصنيف الظواهر إلى أقسام وأجزاء متنوعة وكانت الموضوعات مرتبة فيما بيها.

التوكيد بتكرار الجمل الشامل ويقصد به أن يتم التكرار من خلال النص بأكمله (مطلب أنت طالبه) لتنبيه السامع على أنها من أهم الأمر.

٢. العنصر اللفظي:

التوقف: الحبس والتعذر، وتوقف: تعسر. والمطلب: ما يطلب تضاؤه، والمراد مطلب من مطالب الدنيا والآخرة. أنت طالبه بربك: أي بالاعتماد عليه والتوسل اليه. التيسير: التسهيل. وأنت طالبه بنفسك: أي وأنت معتمد على حولك وقوتك غافل عن الله. والمؤنة: والمؤونة: القوت. وما يدخر منه, والجمع : مؤن ومؤونات.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة (مطلب أنت طالبه) بحيث تنتظم نظام الصوت والنبرة.

الموازة بتوازن المفراد (ما توقف ولاتيسر) وتنتظم الأصوات في نظام نبري ومداة الصوتي.

السجع المطرف بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخر أو المحفاظة على سجع (مطلب أنت طالبه بربك، ومطلب أنت طالبه بنفسك). والعبارة عبارة عن فقرات قصار مسجوعة تتقمص أسلوب القرآن الكريم ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

٤. العنصر البنائي:

ثم ذكر ابن عطاء الله الأدب الثامن من آداب الحضرة القدسية وهو أن يكون تصرفه بالله ولله ومن الله وإلى الله وهو مقام الصدق الذي هو لب الأخلاص وأخلاص خواص الخواص فقال ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك التوقف الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاؤه والتيسر التسهيل.

من نفائس الحكمة اعلموا أن إذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة وأردت أن تقضي لك سريعا فأطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك فإنك إذا طلبتها بالله تيسر أمرها وسهل قضاؤها وإن طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتعسر أمرها ولا يتوقف ويحبس أمر طلبته بربك ولا يتيسر ويسهل أمر طلبته بنفسك.

الحكمة السادسة والعشرون

من علامات النجح في النهايات الرجوع إلى االله في البدايات.

١. العنصر المعنوي:

تقديم الخبر عن المبتداء التي تتعلق بكائن أو استقر مقدرة لتنبيه من أول الأمر على أنه خبر ولتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع فجاء التقديم ليقوى هذا الحكم (من علامات ... الرجوع إلى االله) في نفوس السامعين.

التفصيل بصياغة موضوع الفكر نتبين من خلاله بحيث تتضح أجزائه أن علامات الرجوع إلى االله في البدايات النجح في النهايات.

٢. العنصر اللفظي:

النجح بضم النون، أي: الظفر بالنعود. النهايات: جمع نهاية، ونهاية الشيء: تمامه. والرجوع الى الله: أي: بالتوكل عليه، والاستعانة به.

البدايات جمع بداية، وبداية كل شيء: أوله. والعلاقات بينهم أن النجح في الشيء هو بلوغ القصد والمراد فيه ونجحت مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب ونهاية الشيء تمامه وبدايته أوله قلت إذا توجهت همتك أيها المريد إلى طلب شيء أي شيء كان وأردت أن ينجح أمره وتبلغ مرادك فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة فأرجع إلى الله في بداية طلبه وأنسلخ من حولك وقوتك.

النجاح يعني الظفر بالشيئ، والفلاح هو البقاء على الخير والنجاة من الشر. قد يبدو أن معناهما واحد ولكن دقق في المعنى مرة أخرى فعندما تكون تعمل في مشروعك التجاري أو من أجل بناء مستقبلك تسمع المنادي للصلاة يقول حى إلى الفلاح. فأنت تعمل من أجل النجاح ولكن المنادي يقول لك حى على الفلاح أى النجاة. فالفلاح أخص من النجاح والنجاح في الحكمة تدل على شمولية المعنى العامة.

٣. العنصر الإيقاعي:

الترصيع بتوازن الألفاظ مع توافق الأعجاز (في النهايات وفي البدايات)

توازن الكلمة بلإيقاع الموحدة على جمع الإناث والسجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين (النهايات و البدايات). وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

٤. العنصر البنائي:

هذه الجكم حاصل ما اشتمل عليه هذا الباب من أول الكتاب ثلاثة أمور عمل الشريعة والطريقة والحقيقة أو تقول عمل الإسلام والإيمان والإحسان وهي البداية والوسط والنهاية ومن علامة النجح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية.

وبعد قال ابن عطاء الله عن عرضت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة ثم أشار أن من كان علمه بالله كان راجعا إليه في كل شيء ومعتمدا عليه في كل حال بقوله

من علامة النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات. وهذه الحكمة تتميم لما قبلها.

والمعنى من هذه الحكم "من علامات الناجح في النهايات الرجوع إلى **الله** في البدايات", بداية المريد حال سلوكه، و ايته حال وصوله، فمن صحح بدايته في الرجوع إلى **الله** والتوكل عليه والاستعانة به أن يوصله إليه لأعلى أعماله المعلولة، نجح في نهايته أي: حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع من الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرنا انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين: من ظن أنه يصل إلى **الله** بغير **الله** قطع به ومن استعان علىعبادة **الله** بنفسه، وكل إلى نفسه.

الحكمة السابعة والعشرون

من أشرقت بدايته أشرقت نهايته.

١. العنصر المعنوي:

الترتب أو الفعل وجوابه أن الأشياء تتطلب حينا مجرد التعريف حينما يقول من أشرقت بدايته أشرقت نهايته نجد أن الشيء لم يقف عند مجرد التعريف به أو مطالب الإشراق بل أن النص أثارا على أن من أراد الإشراق في النهاية فبالإشراق في البداية. ودلالاته طوعيا وأساليبه بالتكرار الفعل (أشرقت)

٢. العنصر اللفظي:

أشرقت بدايته: أي عمر أوقاته بأنواع الطاعات والأوراد، وثابر على ذلك كل المثابرة. وأشرنت نهايته: أي باضافة الأنوار والمعارف عليه، وزوال كدرات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أثم حتى يظفر بالمراد.

والعلاقات بينهم أن إشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله والأعتماد فيها على الله مع السعي في أسبابها والأعتناء في طلبها قياماً بحق الحكمة وأدباً مع القدرة ويعظم السعي في السبب بقدر عظمة المطلب.

شرقت الشمس أي قد أشرقت وجاءت من ناحية الشرق. ويعتقد في ذلك أنه وصف لحالها سواء أضاءت أم لم تضيء، كأن تكون السماء ملبدة بالغيوم أشرقت الشمس أي أضاء نورها. كلمة الأشرقت أحسن من أضاء لأن الأضاء فيها نور مضيء لأن البداية والنهاية ليس لهما نور على سبيل الحقيقة بل على سبيل المجاز.

٣. العنصر الإيقاعي:

الترصيع وتوازن الكلمة بلإيقاع الموحدة على جمع أساليبها (أشرقت بدايته أشرقت نهايته) والسجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين (بدايته و نهايته). وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

٤. العنصر البنائي:

ثم كمل ابن عطاء الله في هذه الحكم مسئلة بقاعدة كلية تصدق بما تقدم وبغيره فقال من أشرقت بدايته أشرقت نهايته.

والمعنى من هذه الحكم "من أشرقت بدايته، أشرقت ايته" بإضافة الأنوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفوس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم، وعكسه بعكسه، فمن كان قليل الاجتهاد في بدايته لم يحصل له إشراق في ايته، ولو فرض أنه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره، ويحتمل أن المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع إلى **الله** تعالى والالتجاء إليه، أشرقت ايته بحصول الوصول إليه، فتكون هذه عبارة أخري موافقة لمعني ما قبلها، وما قلناه أولا أولى وأظهر.

الحكمة الثامنة والعشرون

ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر.

١. العنصر المعنوي:

التقابل بين المواقف أو الموضوعات (بين في غيب السرائر و في شهادة الظواهر) وأشكالها التباين وصياغها التقرير وأساليبها التقابل النوعي المتقابل فيما بينها.

رد العجز على الصدر بأن يجعل أحد اللفظين الملحقين بهما (ظهر و الظواهر)

٢. العنصر اللفظي:

إستودع أي وضع فالاستيداع هو وضع الشيء في محل ليحفظ. وغيب السرائر هو باطنها والمراد بالسرائر هو القلوب والأرواح. وشهادة الظواهر هي ظاهر الجوارح.

٣. العنصر الإيقاعي:

السجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين وتوازن الكلمة بلإيقاع الموحدة على وزن مفاعل (السرائر والظواهر). وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

٤. العنصر البنائي:

ان الأمور التي تشرق بها البداية وتكون علامة على إشراق النهاية هي أمور باطنية كالأعتماد على الله والرجوع إليه أو كثرة الشوق والأشتياق إليه لكن لا بد من ظهور أثرها على الظاهر وإليه أشار بقوله ما أستودع من غيب السرائر ظهر في شهادة الظاهر.

هذه الحكمة مبنية على قول رسول الله ص في الحديث الصحيح: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا

وهي القلب".[٣٨] والمراد بالقلب هنا ما يستنبطه الإنسان من المشاعر والمقاصد والتوجهات والوجدانات.

والمعنى من هذه الحكمة (ما استودع في غيب السرائر) أي: في القلوب الغائبة أي: غير المشاهدة بالأبصار من المعارف والأنوار الإلهية، (ظهر في شهادة الظواهر) أي: في الظواهر المشاهدة أي: الحاضرة، فما استودعه **الله** تعالى في القلوب والسرائر من المعارف والأنوار، لا بد أن يظهر أثره على الوجه والجوارح، وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك؛ لأن الظاهر مرآة الباطن، فيستدل بذلك من أراد صحبته والاجتماع به لينتفع به.

الحكمة التاسعة والعشرون

شتان بين من يستدل به، أو يستدل عليه: المستدِل به عرف الحق لأهله؛ فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب؛ حتى يستدل عليه، ومتى بعد؛ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه.

١. العنصر المعنوي:

لم يذكر مرجع الضمير الغيبة ادعاء أن المرجع دائم الحضور في الذهن وعلى ما هو ضروري من الكلام (به وعليه وإليه وعليه).

---

[٣٨]. رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩/١٥٩٩)

التنوع بظاهرة فنية تتمثل في كونها مجموعة من الأشياء المختلفة فيما بينها. والأهمية البلاغية للتنوّع هي أنه يجسد أدوات لبلورة الفكرة التي يستهدفها النص أو أدوات للموضوع الذي تتألف منه هذه الأشياء المتنوعة. و أشكاله في هذه الحكمة بالتقابل حيث يقف من يستدل به متقابلا مع من يستدل عليه. وأساليبه بتقسيم النوعين وأداته بالعطف والبدل.

التوكيد بتكرار الكلمة الإستفهامية (فمتى غاب ومتى بعد) لتنبيه السامع على سبيل التعجب.

٢. العنصر اللفظي:

شتان: اسم فعل ماض بمعنى بعد وافترق ولا تكون إلا في افتراق المعاني دون الحسيات وهذا من حسن اختيار ألفاظ الحكمة التي تعبّر مباشرة عن المعنى المقصود بشكل مختصر وواضح. ولايقول بقسمان أو نصيبان مع أنهما بعيد عن المعنى المقصود.

ويستدل به: أي يستدل به تعالى على المخلوقات. او: بمعنى الواو. ويستدل عليه: أي يستدل عليه تعالى بالمخلوقات. وعرف الحق وهو الوجود الذات. لأمله : وهو الله تعالى. فأثبت الأمر: أي وجود الحوادث. من وجود أصله: وهو الله تعالى : أي جعل وجودهم مستملا من وجوده اذ لولا ايجاده لهم لما وجدوا. والا فمتى غاب: أي الحق سبحانه وتعالى. وحتى بتدل عليه: أي بالمخلوقات

أي يستدل بمخلوقاته عليه. الاثار هي التي توصل اليه: أي الآثار الناشئة عن قدرته هي التي توصل اليه.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (به وعليه وأصله وإليه وعليه).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء وتساوى الفاصلتين في الوزن والتقفية بإلزام ما لايلزم (عليه وإليه).

التجانس المطلق بأن يتوحّد الصوت في جميع أصوات العبارة (يستدل به، أو يستدل عليه).

التجانس غير المنتظم يتضح عنصر جماليّته حينما يقترن بتوازن العبارات أو الفقرات (فمتى غاب حتى ومتى بعد حتى).

٤. العنصر البنائي:

وأعظم ما أستودع في غيب السرائر معرفة الله وهي على قسمين معرفة البرهان ومعرفة العيان أشار إلى الفرق بينهما فقال شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والأستدلال عليه من عدم الوصول إليه.

والمعنى من هذه الحكم (شتان) أي: بعد ما بين من (يستدل به) على الأشياء، وهم المرادون المجذوبون إليه الذين هم من أهل الشهود، إما ابتداء وإما بعد السلوك وهم العارفون، فإ م لا يشهدون غير مولاهمويستدلون به على الأشياء،

(أو) بمعني الواو (يستدل عليه)، وهم المريدون السالكون إلى **الله** تعالى، فأهل **الله** تعالى على قسمين: مريدون ومرادون. وأن شئت قلت: مجذوبون، وهم أهل الشهود والسالكين. فالمريدون السالكون في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار والآثار والأكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم، والحق غيب عنهم، فلم يروه، فهم يستدلون عليه في حال ترقيهم. والمرادون وهم المجذوبون، واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم، وتعرف إليهم فعرفوه، وانحجبت عنهم الأغيار، فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم إن جذبوا ابتداء، أو بعد سلوكهم إن كانوا من أهله، وهم العارفون، فإنهم من أهل الجذب أيضا لكن لشدة تمكنهم في أحوالهم لا يظهر عليهم، ولذا قيل: (اية السالك بداية المجذوب).

وورد: (أعظم الناس جذبً ا، الأنبياء والمرسلون) ذلك أن (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لأهله) وهو **الله** تعالى أي: لم يثبت الوجود إلا له سبحانه وأما الحوادث فهي عدم محض (فأثبت الأمر) وهم الحوادث العدمية (من وجود أصله)، وهو **الله** تعالى أي: جعل وجودهم مستفادا من وجود **الله** تعالى الذي قابلهم وظهر فيهم، فوجدوا، وإلا فهم عدم محض في نظر أرباب الشهود، (والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه)، فالمستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لأنه استدل بالمجهول على المعلوم، وبالعدم على الوجود، وبالأمر الخفي على الظاهر الجلي، وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب، (وإلا) نقل أنه مع عدم الوصول، (فمتى غاب)؟ أي: فلا يصح؛ لأنه:

متى غاب (حتى يستدل عليه) بالأشياء الحاضرة؟ (ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه"؟ أي يستدل ا عليه؛ لأنه لا وجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل إليه.

الحكمة الثلاثون

"لينفق ذو سعة من سعتة" (سورة الطلاق ، آية ٧) الواصلون إليه، "ومن قدر عليه رزقه" (سورة الطلاق ، آية ٧) السائرون إليه.

١. العنصر المعنوي:

طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء بصيغ المضارع المجزوم بلام الأم التي تفيد معنى الالزام (لينفق).

وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح (الواصلون إليه و السائرون إليه).

٢. العنصر اللفظي:

السعة الغني. وقدر عليه: ضيق عليه. والعلاقات بينهم أن السعة هي الغني وقدر عليه ضيق عليه قلت أما الواصلون إليه فلأنهم لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى قضاء الشهود والعيان.

والإنفاق: كفاية مؤونة الحياة من طعام ولباس وغير ذلك مما يحتاج إليه. ومن هنا ابتدائية لأن الإنفاق يصدر عن السعة في الاعتبار، وليست من هذه كمن

التي في قوله تعالى: ومما رزقناهم ينفقون[٣٩] لأن النفقة هنا ليست بعضا من السعة، وهي هناك بعض الرزق فلذلك تكون من قوله: فلينفق مما آتاه الله تبعيضية.

والمعنى اللغوي من هنا أن (لينفق ذو سعة) الواصلون إليه أي: إشارة إلى حال الواصلين إليه تعالى، فإم لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد و كمال الاستبصار، اتسعت مسافة نظرهم، وُ أفيض عليهم علوم وأسرار إلهية، فصاروا يمدون الغير، ويتصرفون في عوالمهم الباطنة كيف شاءوا، ومن (قدر عليه رزقه) السائرون إليه أي: إشارة إلى حال السائرين إليه، فهم مقدوٌرٌ عليهم أرزاق العلوم والفهوم، محب وسون في مضيق الخيالات والرسوم، ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المقدر الضيق على غيرهم، و يتصرفون في عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله تعالى.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (سعتة وإليه ورزقه وإليه وإليه).

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها سواء أكانت ذات أصوات متوحدة (سعة من سعتة) و(قدر عليه رزقه).

---

[٣٩].سورة الأنفال: ٣

توازن المفردة حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري و الإيقاع الموحد الذي يرتبط بكل من التفعيلة والقرار بحيث يتوحد كل منهما في عدده (الواصلون إليه و السائرون إليه)

السجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين وتوازن الكلمة بلإيقاع الموحدة (الواصلون إليه و السائرون إليه) وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن المعتدل.

٤. العنصر البنائي:

ولما كان المستدلون بالله قد وسع الله عليهم دائرة العلوم وفتحت لهم مخازن الفهوم بخلاف المستدلين عليه قد قتر الله عليهم أرزاق العلم بوجود حجاب الوهم أشار إلى ذلك بقوله لينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه ومن قدر عليه رزقه السائرون إليه.

ومن نفائس الحكمة دال أن لما عرجت أرواحهم من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح أو من عالم الملك إلى عالم الملكوت أتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم وفتحت لها مخازن الفهوم فأنفقوا من سعة غناهم جواهر العلم المكنون ومن مخازن كنوزهم يواقيت السر المصون فأتسع لهم ميدان المجال وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة المقال فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية إن لله رجالاً من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وهم أهل السر والحال وأما السائرون إلى الله فلأنهم باقون في ضيق الأكوان

وفي عالم الأشباح مسجونون في سجن الوهم لم يفتح لهم شيء من مخازن الفهم مشغولون بجهاد نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم في العلوم ومقتر عليهم في سائر الفهوم فإن جدوا في السير وصلوا وأنتقلوا من ضيق الأكوان ورحلوا وتبختروا في رياض العلوم ورفلوا فظفروا بما أملوا وإستغنوا بعدها أن ملوا وإن رجعوا من الطريق أو قصروا فقد خابوا وخسروا تنبيه أن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فأقطع عنك مادة الأوراق فما دمت متكلا على كنز غيرك لا تحفر على كنزك أبدا فأقطع عنك المادة وإفتقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله.

الحكمة الحادية والثلاثون

اهتدى الراحلون إليه بأنوار التواجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة. فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم؛ لأنهم لله، لاشيء دونه : "قل االله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (سورة الأنعام ، آية . ٩١).

١. العنصر المعنوي:

الإطناب بزيادة اللفظ على المعنى بطريق التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها لفائدة التأكيد لمنطوق الأولى (فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم).

الإطناب بطريق الإيغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (لأنهم لله، لاشيء دونه).

تفصيل الموضوعات هو بالتقسيم التي تعني تصنيف الظواهر إلى أقسام وأجزاء متنوّعة وكانت الموضوعات مرتبطة فيما بينها أو منقسمة إلى أجزائها التي تتألّف منها (اهتدى الراحلون إليه بأنوار التواجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة).

اللاستدراك بإخراج الشيء على أنّه مقترن بعنصر هو إزالة التوهم عن العموم (لأنهم لله، لاشيء دونه).

مقابلة الشيء بشيء آخر على نحو يقف كل منهما متقاطعا مع الآخر, والتقابل بين المواقف مباشرة (اهتدى الراحلون إليه بأنوار التواجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة).

٢. العنصر اللفظي:

أنوار التوجيه هي أنوار الإسلام والإيمان وأنوار المواجهة هي أنوار الأحسان أو تقول أنوار التوجيه أنوار الطاعة الظاهرة والباطنة وأنوار المواجهة هي أنوار الفكرة والنظرة أو تقول أنوار التوجه أنوار الشريعة والطريقة وأنوار المواجهة أنوار الحقيقة أو تقول أنوار التوجه أنوار المجاهدة والمكابدة وأنوار المواجهة هي أنوار المشاهدة والمكالمة.

والراحلون وهم السائرون للأنوار لأفتقارهم إليها وفرحهم بها. والرحل هو الخروج في سفر مع اسباب ووسائل لا مطلقا. وهذا القيد لازم أن يلاحظ في جميع صيغها وموارد استعمالها. وبهذا اللحاظ يطلق على تلك الأسباب التيتعدّ للسفر

الرحل. ولايقول السافرون لأن السفر مطلق ليس له قيد خاص باختلاف الرحل كما سبق.وسبب الرحيل الرحيل من الضلال إلى الأنوار.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (التواجه والمواجهة ولله ودونه).

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (التواجه والمواجهة) (لهم ولأنهم).

الترصيع بتوازن الألفاظ مع توافق الأعجاز (بأنوار التواجه و أنوار المواجهة).

توازن المفردة حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري و الإيقاع الموحد الذي يرتبط بكل من التفعيلة والقرار بحيث يتوحد كل منهما في عدده (للأنوار والأنوار) (الراحلون والواصلون).

٤. العنصر البنائي:

ذكر ابن عطاء الله سبب أتساع العلوم على الواصلين دون السائرين وهو أن الواصلين لم يفقوا مع شهود الأنوار بل نفذوا إلى نور الأنوار بخلاف السائرين فإنهم واقفون مع الأنوار مفتقرون إليها مملوكون في يدها فقال هذه الحكمة.

ومن نفائس الحكمة أن (اهتدى الراحلون) أي السائرون (إليه بأنوار التوجه) أي الأنوار الحاصلة من العبادات والرياضات التي توجهوا بها إلى حضرة المولى فإن المجاهدة بحسب العادة يحصل منها أنوار في القلوب يهتدون بها إلى **الله** تعالى حتى يصلوا إليه. (والواصلون، لهم أنوار المواجهة) أي الأنوار التي واجهتهم

من حضرة الرب أي أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه. (فالأولون للأنوار) أي:عبيد لها ومحتاجون إليها للتوسل بها إلى مطلوم بهم. (وهؤلاء) أي الواصلون، (الأنوار لهم) أي ثابتة لهم من غير معاناة و مشقة مع فنائهم عنها بربهم (لأنهم لله، لا لشيء دونه).

وقال تعالى: "قل لله" ولا تحل إلى أنوار ولاغيرها "ثم ذرهم في خوضهم يلعبون"[٤٠]. فإفراد التوحيد بعد فناء الأغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى **الله** خوض و لعب وذلك من صفات المحجوبين.

الحكمة الثانية والثلاثون

تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

١. العنصر المعنوي:

الاطناب بالتكرير الشيء مرتين لأغراض طول الفصل لئلا يجيء مبتورا ليس له طلاوة (تشوفك).

تفصيل الموضوعات بالتقسيم التي تعني تصنيف الظواهر إلى أقسام وأجزاء متنوعة وكانت الموضوعات مرتبطة فيما بينها أو منقسمة إلى أجزائها التي تتألّف

---

[٤٠]. سورة الأنعام أية ٩١.

منها تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب وتشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

مقابلة الشيء بشيء آخر على نحو يقف كل منهما متقاطعا مع الآخر, أن يتم التقابل مباشرة، بحيث يشار لفظيا إلى الموضوعين المتقابلين وهما تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب وتشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

٢. العنصر اللفظي:

التشوف إلى الشيء: الإهتمام به والتطلع إليه. وتشوفك أي تطلعك بعين البصيرة ورجح ابن عطاء الله لفظ التشوف عن التطلع لأن التطلع بعين البصر و التشوف بعين البصيرة. وهذا إشارة إلى المعنى الصريح المقصود من اللفظ عند تعدد معاني في الكلمة المتقاربة.

ما بطن فيك من العيوب أي ما خفي فيك من الغيوب كالحسد والكبر. وإلى ما حجب عنك من الغيوب أي ما غاب عنك كالأسرار الالهية والكرمات الكونية.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالباء (العيوب و الغيوب).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء (العيوب و الغيوب).

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (تشوفك إلى ما بطن و تشوفك إلى ما حجب).

توازن الجملة حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري و الإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار بحيث يتوحد كل منهما في عدد كل من الكلمات والفقرات هذه الحكمة.

السجع التوازي التركيبي والصوتي لأن فيه تقابلا ما بين متواليتين صوتيتين: (تشوفك/تشوفك، إلى ما بطن/ إلى ما حجب، فيك/عنك، من العيوب/و من الغيوب) وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن.

٤. العنصر البنائي:

ثم افتتح اين عطاء الله الباب الثالث بذكر التخلية والتحلية فقال تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

ومن نفائس الحكمة أن (تشوقك إلى ما بطن فيك من العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أي توجه همتك إلى زوال ذلك بالرياضة والمجاهدة، وطلب التخلص منه، ولا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كامل ناصح (خير من تشوقك إلى ما حجب) عنك (من الغيوب) من خفايا القدر ولطائف العبر والأسرار الإلهية والمعارف اللدنية، والكرامات الكونية لأن ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شيء معه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن إلى ما ظهر لك منها فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك، أولى بك من أن تكون بحق نفسك.

الحكمة الثالثة والثلاثون

الحق ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ماحجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر "وهو القاهر فوق عباده" (سورة لأنعام ، آية . ١٨).

١. العنصر المعنوي:

ذكر النفي في هذه الحكمة (ليس) لأجل الإستدراك إذا كان الاستثناء هو إخراج الشيء من عمومه فإن اللاستدراك هو إخراج الشيء أيضا، إلاّ أنّه مقترن بعنصر إزالة التوهم عن العموم تستفد من سياق الحكمة.

الإطناب بالتكرير أكثر من مرتين لأغراض التلذذ بذكره (المحجوب وما اشتاق منه).

الإطناب بذكر الخاص بعد العام (لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر) وفائدته التنبيه على مزية وفضل في الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله.

القصر بإنما والمقصور عليه (المحجوب أنت) ويكون مؤخرا في الجملة وجوبا.

الترتب أو الفعل وجوابه أي فإن الترتب بدوره عملية تأرجح بين شيئين ولكن من خلال ترتب أحدهما على الآخر بطريق تكرير أداة الشرط والجواب (لو حجبه شيء لستره ماحجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر)

٢. العنصر اللفظي:

ثمة فرق كبير بين قولك: الشمس محجوبة عني وقولك أنا محجوب عن الشمس، فالقول الأول يصدق بما لو كان على صفحة الشمس سحاب يحول دون رؤيتك لها، والقول الثاني يصدق بمالو كانت على عينيك غشاوة حالت هي الأخرى دون رؤيتك لها. في الحالة الأولى الشمس محجوبة عنك، إذ لادخل لك في الحجاب الذي أخفاها عنك، وفي الحالة الثانية أنت عجوب عنها إذ الحجاب عائد إليك ولعله جزء منك.

فهل في الكون حالة أو زمان أو مكان يصدق أن يقال فيه الله محجوب عن الإنسان أو عن كائن ما من المخلوقات؟, إذا تأملت في الفرق الذي بدأت به شرح هذه الحكمة علمت أنه الاباتي في أي حال أو زمان أو مكان أن يكون الحق جل جلاله محجوبا بشيء ما عنك أو عن غيرك.[٤١]

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالباء (بمحجوب) والهاء (النظر إليه وماحجبه) والراء (ساتر و حاصر و قاهر).

التجانس بالعبارة المكررة حيث يخضع التجانس بين اللفظين فصاعدا لمستويين هما (بمحجوب والمحجوب) (حجبه وحجبه) (كان ولكان) (حاصر و حاصر).

---

[٤١]. سعيد رمضان البوطي، *الحكم العطائية الشرح والتحليل*، (بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر)، ٢/ ٤٧.

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (لستره و ساتر).

توازن الجملة حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري و الإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار بحيث يتوحد كل منهما في عدده (حاصر و قاهر).

رد العجز على الصدر بجعل أحد اللفظين المكررين (إذ لو حجبه شيء لستره ماحجبه) (ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر). أو الملحقين (لستره ماحجبه، ولو كان له ساتر) بهما في أول الفقرة ثم تعاد في آخرها.

٤. العنصر البنائي:

لما ذكر ابن عطاء الله التخلية ذكر ثمرتها وهي التحلية بالمعرفة إذ ما منع منها إلا تشوف النفس أو القلب أو الروح إلى حظوظها الوهمية.

ومن نفائس الحكمة أن (الحق) تعالى (ليس بمحجوب) أي ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وإنما المحجوب) أي المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر إليه) فإن أردت الوصول إليه والدخول في حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل إليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل على نفي الحجاب عن الرب بقوله: (إذ لو حجبه شيء، لستره ما حجبه) ودفع بذلك ما يتوهم منعدم استحالة الحجاب في حقه تعالى لأن الحجاب إنما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبأ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين جاء النقص؟ وحاصل الدفع

أنه لو حجبه شيء كما هو شأنالعظماء لستره ولو كان له ساتر (لكان لوجوده) أي ذاته (حاصر) لإستلزام الستر انحصارالمستور فيه (وكل حاصر لشيء فهو له قاهر) لأنه يمنعه مما وراءه ويقصره على محله ويجعله في أسر قيضته وتحت حكمه، وذلك لا يصح في حقه تعالى لقوله في كتابه (وَهُوَ القَّاهِرُ فَوْقَ عِبادِ هِ)[٤٢] فوقية مكانه وجلاله لا مكان.

الحكمة الرابعة والثلاثون

اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبا، ومن حضرته قريبا.

١. العنصر المعنوي:

التنوع وهو ظاهرة فنية تتمثل في كونها مجموعة من الأشياء المختلفة فيما بينها والأهمية البلاغية للتنوع هي أنه يجسد أدوات لبلورة الفكرة التي يستهدفها النص وأشكال العرض في هذه الحكمة التقسيم ويقصد به أن تكون الأشياء منقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها (اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك) قبالة الأجزاء الأخرى التي تستفد من مفهوم الحكمة (وما لانقض لعبوديتك فعليك فيها).

---

[٤٢]. سورة الأنعام أية ١٨.

الإطناب بالاعتراض وهو أن يؤتى في اثناء الكلام بجملة معترضة لغرض يقصده به زيادة التأكيد (أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك).

تقديم الفضلة عن العمدة وهي خبر كان (لتكون لنداء الحق مجيبا، ومن حضرته قريبا) يفيد التأكيد والاهتمام فيما تقدم (لنداء الحق ومن حضرته) دون حصر و قصر.

٢. العنصر اللفظي:

أوصاف البشرية هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبودية وهي نوعان ظاهرة وهي أعمال الجوارح وباطنة وهي أعمال القلب وكل من النوعين إما طاعة وإما معصية.

وفي الحكمة استعمل لفظ التناقض عن التعارض وعرفه ابن قدامة فقال: «التعارض هو التناقض فإذا تأملنا في هذين التعريفين وجدناهما لم يتجاوزا المرادف اللغوي للتعارض وإضافة إلى هذا، فإن استخدامهما التعارض مرادفاً للتناقض استخدام غير دقيق لأن التعارض بين الأدلة في اصطلاح الأصوليين ليس هو التناقض فالتعارض الاصطلاحي هو تعارض ظاهري بمعنى انه وهم يكون في ذهن الناظر وليس له وجود في الواقع أما التناقض فهو التعارض الحقيقي المتجسد في واقع الشيئين المتعارضين[٤٣].

---

[٤٣] عبد المجيد محمد إسماعيل السوسة، *منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث*، (القاهرة، دار النفائس، ١٩٩٢ م)، ٤٩.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالكاف (بشريتك وعبوديتك) والألف (مجيبا وقريبا).

من حيث المدى تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالياء والألف (مجيبا وقريبا).

رد العجز على الصدر بجعل أحد اللفظين أو الملحقين (من أوصاف وعن كل وصف) حيث تنتظم نظام الأصوات بسهول نطقها.

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا (لتكون لنداء) (مجيبا وقريبا).

٤. العنصر البنائي:

لما كان حجاب الروح عن المعرفة أمرا وهميا عدميا لا حقيقة له وهو مرضها بأوصاف البشرية فلو صحت لعرفت أشار إلى ذلك بقوله أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا.

ومن نفائس الحكمة أن (اخرج) بالرياضات والمجاهدات (من أوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الأوصاف ظاهرة وهي القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة وقتل وصلب أو باطنة وهي القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال.. إلى غير ذلك.

ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للأوصاف المحمودة كالطاعة والإيمان وهي غير مرادة أبدل منها قوله: (عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبا) لأنك إذا خرجتعن تلك الأوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع **الله** والخشوع بين يديه والتعظيم لأمره والحفظ لحدوده والخوف منه والإخلاص في عبوديته فحينئذ يناديك نداءمعنويا باسم العبد فيقول لك: يا عبدي، فتجيبه بقولك: لبيك، فتكون صادقا في إجابتك لفقد الصفات منك التي تنافي العبودية وتقتضي الربوبية وتكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الأوزار وتتيسر لك الأعمال وتتلذذا.

الحكمة الخامسة والثلاثون

أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة، عدم الرضا منك عنها. ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما، يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم، يرضعن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل، لا يرضى عن نفسه؟.

١. العنصر المعنوي:

التقابل بين الموضوعات بالتباين بينهما و تتم صياغة التقابل للتقرير بينهما (أصل كل معصية بـ أصل كل طاعة وغفلة بـ يقظة وشهوة بـ عفة والرضا عن النفس بـ

عدم الرضا منك عنها) (لأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه بـ لك من أن تصحب عالما، يرضى عن نفسه).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس) (وأصل كل طاعة ويقظة وعفة، عدم الرضا منك عنها) .

الإطناب بالتكرير أكثر من مرتين لأغراض التلذذ بذكره (تصحب).

الاستفهام في هذه الحكمة يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما و تستفاد الغرض من سياق الكلام للإنكار (فأي علم لعالم، يرضعن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل، لا يرضى عن نفسه؟).

٢. العنصر اللفظي:

معصية: مخالفة لما أمر الله به ونهى عنه. وغفلة: المراد غفلة القلب عن حضرة الرب. وشهرة: تعلق ما يشغل عن الله. والرضا عن النفس: لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها. وطاعة: موافقة للأمر والنهي. وبقظة: دخول في حضرة الرب. وعفة: علو الهمة عن الشهوات. وعلم الرنا معك عنها: لأن من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها. ولأن تصحب جاهلا لا يرض عن نفسه خير من أن تصحب عالما يرضي عن نفسه. ولا يرضي عن نفسه: أي بسخط عليها ويعتقد نقعها. خير من أن تصحب عالما يرضي عن نفسه: أي أن صحبة من يرضي عن نفسه شر محض لأنها تؤثر فيمن يصحبه. وفأي علم العالم يرضي عن

نفسه: لأن رضاه صار حجابا له عن ربه. وأي جهل لحامل لا يرضي عن نفسه: إذ إنه بعدم رضاه عن نفسه بحث عن عيوبها وخلص منها.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (معصية وغفلة وشهوة وطاعة ويقظة وعفة) (نفسه) والألف (جاهلا و عالما).

التجانس بالعبارة المتكرّرة (أصل كل مرتين) (لا يرضى عن نفسه مرتين) (يرضى عن نفسه مرتين) حيث تنتظم نظام الأصوات بسهول نطقها.

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا (وغفلة وشهوة وطاعة ويقظة وعفة) (جاهلا و عالما).

٤. العنصر البنائي:

أن الأوصاف البشرية التي أحتجبت بها الحضرة إنما جعلها الله منديلا لمسح أقذار القدر كالنفس والشيطان والدنيا فجعل الله النفس والشيطان منديلا للأفعال المذمومة وجعل البشرية منديلا للأخلاق الدنيئة وما ثم إلا مظاهر الحق وتجليات الحق وما ثم سواه ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم إن هذه العيوب التي ذكر ابن عطاء الله سبب بقائها في الأنسان بإعتبار الحكمة هي الغفلة عن البحث عنها وسبب الغفلة عن البحث عنها هو الرضى عن النفس إذ لو أساء

ظنه بها لبحث عن مساويها فأستخرجها وتطهر منها فلذلك قال أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس.

ومن نفائس الحكمة أن (أصل كل معصية) أي مخالفة لما أمر االله به ونهى (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما يشغل عن االله، (الرضا عن النفس) بإجماع العارفين وأرباب القلوب لأن الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساوئها ويصير قبيحها حسنا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن إليها ومن استحسن حال نفسه وسكن إليها استولت عليه الغفلة عن االله وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعي الشهوة وتغلبه إذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة.

(وأصل كل طاعة) أي موافقة للأمر والنهي (ويقظة) أي دخول في حضرة الرب وتنبهلما يرضيه (وعفة) أي علو همة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فإن لم يرض عن نفسهلم يستحسن حالها ولم يسكن إليها ومن كان ذا الوصف كان متنبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلايكون لها عليه غلبة ولا قوة، فيتصف حينئذ بالعفة وإذا اتصف بذلك كان متجنبا لكل ما ناالله عنه محافظا على جميع ما أمر به وذلك معنى طاعة االله تعالى ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم الظاهرية التي لا تدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم

ومخالتطهم فقال: (ولأن) أي واالله لأن (تصحب) (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لا يرضى عن نفسه) بأن يسخط عليه و يعتقد نقصها (خير لك من أن تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لأن صحبة من يرضى عن نفسه و إن كان عالما شر محض لك لأن الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافعا لك في ذيب نفسك وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه ضار لك غاية الإضرار وكأنه إذ فاته العلم بعيوب نفسه حتى رضي عنها لا علم عنده فإذا قال: (فأي علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وإن كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لأن الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله، فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذي أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع ولأنه إذا علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها لا جهل عنده، ولذا قال: (وأي جهل لجاهل لا يرضي عن نفسه!) لأنه إذا حصل له هذا العلم صار لاجهل عنده حتى يتضرر به مخالطة، فتكون صحبته خيرا محضا، فالتنوين في قوله علم وجهل للتنويع أي فأي علم نافع وأي جهل ضار.

الحكمة السادسة والثلاثون

شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك، ولا وجودك.

١. العنصر المعنوي:

التنوع بالتقسيم على سبيل تتابع البصيرة وحدا فواحدا (شعاع البصيرة ثم عين البصيرة ثم حق البصيرة).

التأكيد بالعبرة المكررة لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع (يشهدك, يذكر ثلاثة مرات).

التضاد والتقابل بين الكلمتين (قربه بـ عدمك) (لا عدمك بـ لا وجودك).

الإطناب بالاعتراض لغرض التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيدا لمنطوق الأولى (يشهدك وجوده، لا عدمك، ولا وجودك).

٢. العنصر اللفظي:

البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة ترى المعاني اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة بإعتبار أدراك نور المعاني اللطيفة على خمسة أقسام قسم فسد ناظرها فعميت فأنكرت نور الحق من أصله.

٣. العنصر الصوري:

شعاع البصيرة كناية عن نور العقل الهادي إلى الإيمان وعين البصيرة كناية عن نور الإيمان الهادي إلى المعرفة وحق البصيرة كناية عن نور المعرفة الهادي إلى التحقيق.

٤. العنصر الإيقاعي:

شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك، ولا وجودك.

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالكاف (منك ولا عدمك ولا وجودك) والهاء (لوجوده وجوده).

التجانس بالعبارة المتكرّرة (يشهدك تذكر ثلاث مرات) (البصيرة تذكر ثلاث مرات) (وجوده تذكر مرتين) (عدمك تذكر مرتين).

السجع المتوازي الحسن المعتدل في صياغه والسهولة عند نطقه (لوجوده، وجوده،لا عدمك، ولا وجودك).

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا في جميع ما أورد في هذه الجكمة.

٥. العنصر البنائي:

وإذا تخلص العبد من حظوظه وأوصاف بشريته قرب من حضرة ربه لصحة قلبه وأشراقه بنور ربه ثم أمتحى وجوده في وجود محبوبه وشهوده في شهود معبوده وإلى ذلك أشار هذه الجكمة.

ومن نفائس الحكمة أن (شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك، وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة، ويعبرعنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده

لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك يهتف على قلبه أنوار إلهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد.

الحكمة السابعة والثلاثون

كان االله ولاشيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

١. العنصر المعنوي:

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف (كان االله ولاشيء معه) فان معناه كثير ولفظه يسير.

تقديم خبر كان لمجرد التقرير وليس المقصود بالتخصيص او القصر.

٢. العنصر اللفظي:

اقتبس ابن عطاء الله هذه الحكمة من الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض.[٤٤]"

وأخرجه أيضا البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء.[٤٥]"

---

[٤٤] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، (دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي))،١٣/ ٤٠٣.

وفي قول: وهو الآن على ما عليه كان وهذه الزيادة وإن لم تكن في الحديث لكن معناها صحيح إذا لتغير عليه تعالى محال قال محيى الدين بن محمد بن علي بن العربي الحاتمي رضي الله عنه من شهد الخلق لأفعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل.[٤٦]

٣. العنصر الإيقاعي:

رد العجز على الصدر بجعل أحد اللفظين (كان) حيث تنتظم نظام الأصوات بسهول نطقها.

التجانس بالعبارة المفردة وكانت ذات أصوات مختلفة تتناسب فيما بينها وهو أمر يرجع تمييزه إلى الذوق في هذه الحكمة.

٤. العنصر البنائي:

ويسمى هذا المقام شعاع البصيرة وقسم قوي ناظرها ففتح عين بصيرته فأدرك النور محيطا به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا لخاصة المتوجهين فبعد قال ابن عطاء الله عن عين البصيرة وحق البصيرة أشار هذه الحكمة على ما سمي بشعاع البصيرة.

ومن نفائس الحكمة أن (كان **الله** ولا شيء معه) يعني أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤيته غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي

---

[٤٥] نفس المراجع، ٤٠٣/١٣.

[٤٦] الحسني، إيقاظ الهمم، ٦٥/١.

إن الأمر الذي حصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له، وهو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم إدراك ذلك له قبل ذلك إنما هو لوجود الحجاب.

فقوله (وهو الآن) أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف (على ما عليه كان) أي هو متصل به في الواقع. وقيل إدراك هذا المشاهد له لكن عدم إدراكه ذلك إنما هو للحجاب القائم به.

الحكمة الثامنة والثلاثون

لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لاتتخطاه الآمال.

١. العنصر المعنوي:

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم (لا تتعد نية همتك إلى غيره).

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف (فالكريم لاتتخطاه الآمال) فان معناه كثير ولفظه يسير.

التضاد بين شيئين على سبيل التقرير (همة وآمال).

٢. العنصر اللفظي:

لا تتعد: لا تتجاوز. ونية الهمة: قصدها الذي تتوجه به. والهمة: القوة المنبعثة في طلب المقاصد والآمال قصود القاصدين. ولا تتخطاه: لا تتجاوز إلى غيره.

واختر اين عطاء الله بوصف الكريم على أنه اذا قدر عفا و اذا وعد وفي واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا أعطى وان رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى واذا جفا عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعاء. فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي إذن ألا تتخطاه آمال المؤملين إلى غيره[٤٧].

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المفردة واللفظة الواحدة التي يتحقق فيها تجانس أصواتها ذات أصوات متوحّدة بالتاء واللام والألف (لا تتعد و لاتتخطاه)

٤. العنصر البنائي:

إذا تقرر أنفراد الحق بالوجود فلا تتعد همتك إلى غيره إذ هو مفقود وإلى ذلك أشار ابن عطاء الله بقوله في أول الباب الرابع هذه الحكمة.

ومن نفائس الحكمة أن (لا تتعدي نية همتك) أيها السالك (إلى غيره) بأن تتوجه إلى غيره لتحصيل حاجتك،بل اطلب حوائجك منه (فالكريم لا تتخطاه الآمال) فالهمة العالية تأنف من رفع حوائجها إلغير كريم ولا كريم على الحقيقة إلا االله. إذ الكريم هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد أوفى وإذا أعطى زاد على ما انتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وإذا جفي عاتب وما استقصى

---

[٤٧] أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي، *غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ١٧٨.

ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة إلا هو. فينبغي ألا تتخطاه آمال المؤملين إلى غيره.

الحكمة التاسعة والثلاثون

لا ترفعن إلى غيره حاجة، هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا!؟ من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا!؟.

١. العنصر المعنوي:

تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحك، ليتمكن من نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره بالنون الثقيلة والتديم الفضلة عن المفعول (لا ترفعن إلى غيره حاجة).

تقديم الفضلة عن العمدة وهي المفعول به للإهتمام على ما هو أفضل ويهتم به (لا ترفعن إلى غيره حاجة).

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف (هو موردها عليك) فان معناه كثير ولفظه يسير.

ويطلب بكيف تعيين الحال والأغراض من إلقاء الإستفهام ليس بمجرد الجواب بل لاتطلب منها الجواب مع أن الأغراض التقرير ودفع التوهم على السامع و التعجب.

تأخير خبر كان لرعاية الفاصلة مع زيادة التلذذ بها (واضعا!؟ و رافعا!؟).

٢. العنصر اللفظي:

رجح ابن عطاء الله في اختيار ألفاظه على ما قاله في الصدر ثم كرر ما اشتاق منه في الدبر تنبيها وزيادة على التلذذ السامع حيث يتأثر ما فيها.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالالف (واضعا!؟ و رافعا!؟).

التجانس بالعبارة المتكرّر حيث تنتظم نظام الأصوات بها (لا ترفعن وفكيف يرفع وأن يرفع حاجة) (فكيف يرفع وفكيف يسطيع).

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا (واضعا!؟ و رافعا!؟) وهذا من الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه.

٤. العنصر البنائي:

وإذا علمت كرمه وجوده وكماله وإحسانه فلا ترفع إلى غيره ما هو مورده عليك كما قال ابن عطاء الله لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك.

ثم تعجب ممن رفع أحكام الحق إلى غيره معى عجزه وضعفه فقال فكيف يرفع إلى غيره ما كان هو له واضعا.

ثم بين وجه التعجب فقال من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا.

ومن نفائس الحكمة أن (لا ترفعن إلى غيره حاجة) أي فاقة أو نازلة نزلت بك أي لا تتوجه في زوالها إلى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فإن تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أي منزلها بك (فكيف يرفع غيره ما كان) هو له (واضعا)؟ إذ هو الغالب الذي لا يغلبه شيء، وأيضا (من لم يستطع أن يرفع حاجة عن نفسه) إذا نزلت به، (فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا) أي فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه.

وحاصله أن المرفوع إليه له حوائج لم يتوصل إليها، ولو كان ملكا ولا شك أن نفسه أحب إليه من غيره، فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره إذ ما بعدالعجز عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك.

الحكمة الأربعون

إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، فحسن ظنك به لأجل معاملته معك، فهل عودك إلا حسنا؟! وهل أسدى إليك إلا مننا؟!.

١. العنصر المعنوي:

ترتب الفعل وجوابه للتجاهل على ما يسأله مع أن السامع يعرف أن الله تعالى ذات جميع أوصاف الكمال ولكن ليس كل الإنسان يشعر بأدائها فاختر ما بين

حسن وصفه أو معاملته معك في تحسين ظنك إليه. (إن لم تحسن ... فحسن).

الأمر والنهي كلاهما تحرج عن معانهما الأصل اي هو الإلزام و بهما تفيد الارشاد (لم تحسن ... فحسن).

التأكيد والتلذذ بتكرير ما اشتاق من الكلام حيث اهتم به المتكلم (إن لم تحسن وحسن وصفه و إلا حسنا).

الاطناب بالتكرير الشيء مرتين لطول الفصل لئلا يجىء مبتورا ليس له طلاوة (ظنك به).

المطلوب من الإستفهام ليس أن السائل جاهل بالحكم بل للتقرير السامع بما يسأله (هل)

اللاستدراك بإلاّ ويقصد به ليس مجرد الإستثناء بل إزالة التوهم عن العموم (إلا حسنا؟! وإلا مننا؟!).

٢. العنصر اللفظي:

لأجل حسن وصفه اى لاجل ما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية.

فحسن ظنك به لأجل معاملته معك أي من اسباغ النعم وشمول الفضل والكرم.

وأسدى اليك بمعنى أعطاك. يقال اسدي اليه معروفا اي أعلى وأولى.

منتا: نعما: جمع منة: وهي الإحسان والأنعام.

جاءت بداية الحكمة في شرح الشيخ زروق تحقيق الشيخ عبد الحليم محمود هكذا: "إن لم تحسن ظنك به لأجل جميل وصفه حسن ظنك به ، لوجود معاملته معك". وفي شرح ابن عجيبة هكذا: "و إن لم تحسن ظنك به، لأجل وصفه حسن ظنك به لأجل معاملته معك". وفي شرح الشيخ عبد المجيد الشرنوبي هكذا: "إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لأجل معاملته معك". وكلها متقاربة في المعني.

الفرق بين الظن والتصور أن الظن ضرب من أفعال القلوب يحدث عند بعض الأمارات، وهو رجحان أحد طرفي التجوز، وإذا حدث عند أمارات غلبت وزادت بعض الزيادة، فظن صاحبه بعض ما تقتضيه تلك الأمارات، سمي ذلك: غلبة الظن، ويستعمل الظن فيما يدرك وفيما لا يُدرك. والتصور يستعمل في المدرك دون غيره، كأن المدرك إذا أدركه المدرك تصور نفسه، والشاهد أنَّ الأعراض التي لا تدرك لا تُتَصور، نحو العلم والقدرة، والتمثل مثل التصور إلا أنَ التصور أبلغ.

٣. العنصر الإيقاعي:

تنتظم نظام الأصوات امتدادا صوتيا بالنون والألف التزاما على ما لايلزم (إحسنا؟! مننا؟!).

التجانس بالعبارة المتكرّر حيث تنتظم نظام الأصوات بها (لم تحسن ظنك به لأجل وفحسن ظنك به لأجل).

التجانس بالعبارة المفرادة (فهل وهل).

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا (إحسنا؟! منا؟!)

الترصيعب توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز (إلا حسنا؟! وإلا منا؟!).

٤. العنصر البنائي:

أن الأعتماد على الله ورفع الحوائج إليه والرجوع في كل النوازل إليه سببه حسن الظن به كما أشار إليه ابن عطاء الله هذه الحكمة.

ومن نفائس الحكمة أن (إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه) لأجل ما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فإن من كان متصفا بأسنى الصفات لا يصدر منه إلا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (فحسن ظنك به لوجود معاملته معك) من إسباغ النعم وشمول الفضل والكرم (فهل عودك إلا حسنا وهل أسدي إليك إلا منا) أي نعما.

أشار بذلك إلى أن الناس في حسن الظن على قسمين خاصة وعامة: فالخاصة: حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية. والعامة: حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر، فكأنه قال: ينبغي لك أن تحسن ظنك بالله مطلقا في إيصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فإن لم تقدر على حسن الظن الذي هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن لوصفه ينتج لك محبته وحسن

الاعتماد والتوكل وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوق لورود فضله ورحمته.

الحكمة الحادية والأربعون

العجب كل العجب ممن يهرب، ممن لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لابقاء معه، "فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (سورة الحج، آية. ٤٦).

١. العنصر المعنوي:

التكرار ويستفاد منه تأكيد الجملة (العجب كل العجب) زيادة للتعجب.

الإيجاز بحذف مرجع الضمير ألا وهو لفظ الجلالة لتعظيم درجته بالقرب وادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن.

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر اي من يهرب عنه من نوع الأية (فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

٢. العنصر اللفظي:

ما لا أنفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره فمن أعجب العجائب أن يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب

لما سواه مع أنه لا أنفكاك له منه ولا محيد له عنه إذ لا وجود له إلا منه ولا قيام له إلا به.

والحكمة تقول بالهروب ولا بالفرار وأن معنى الهروب هو الجد في الذهاب والفرار مذعورا او غير مذعور. وهذا من وارتباط اللفظ بالمعنى في الحكمة.

٣. العنصر الإيقاعي:

من حيث الصوت تنتظم نظام الأصوات بالهاء (عنه و معه) والراء (الأبصار الصدور).

التجانس بالعبارة المفردة كانت ذات أصوات متوحّدة (العجب كل العجب) (ممن يهرب و ممن لا انفكاك) (تعمى الأبصار وتعمى القلوب).

الترصيع بتوازن الألفاظ مع توافق الأعجاز (تعمى الأبصار وتعمى القلوب).

الموازنة بتساوى الفاصلتين في الوزن دون التقفية (الأبصار الصدور).

٤. العنصر البنائي:

إذا كان الحق تعالى ما عودك إلا الأحسان وما أسدي إليك إلا الأمتنان فمن العجب أن تتركه وتطلب ما سواه وإلى ذلك أشار بقوله العجب كل العجب ممن يهرب مما لا أنفكاك له منه ويطلب مالا بقاء له معه فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

ومن نفائس الحكمة نعرف أن (العجب كل العجب لمن يهرب مما لا انفكاك له عنه) وهو **الله** تعالى بألا يفعل ما يقربه إليه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو

الدنيا وكل شيء سوي المولى بأن يقبل على شهواته ويتبع هواه ﴿لاَ تَعْمَى الأبصَارُ وَلكِن تَعْمَى القُلوبُ التي في الصدُورِ ﴾ (الحج:٤٦) أي: إن ذلك ناشئ من عمى قلبه، ووجود جهله بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه، ولو كانت له بصيرة، لعكس الأمر.

الحكمة الثانية والأربعون

لا ترحل من كون إلى كون؛ فتكون كحمار الرحى ويسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون "وأن إلى ربك المنتهى" (سورة النجم ، آية ، ٤٢).

وانظر إلى قوله صلى االله عليه وسلم[٤٨]: "فمن كانت هجرته إلى االله ورسوله فهجرته إلى االله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه". فافهم قوله عليه الصلاة والسلام، وتأمل هذا الأمر، إن كنت ذافهم.

١. العنصر المعنوي:

الارشاد بذكر التعبير الإنشاء بصياغ النهي الذي يخرج من المعنى الأصل.

---

[٤٨]. متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب , وأوله " إنما الأعمال بالنيات , وإنما لامريء ما نوى ... " الحديث وراجع تخريجه , والتعليق عليه في مشكاة المصابيح بشرح الطيبى (ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٧٧٤ ٤٤٤٧ (هـ) (م). ٤/٢١ .

الجناس غير التام مردوفا في الأول (من كون إلى كون؛ فتكون) مع أن الكون بمعنى العالم والتكون فعل المضارع الناقص.

جناس الاشتقاق (الأكوان إلى المكون) مع أن الأكوان العالم ومافيها وأن المكون رب العالمين.

الإستدراك بذكر الإستثناء وتفيد منه دفع التوهم إلى أي شيء راحل الرحلون (ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون).

الإطناب بالتكرير أكثر من مرتين لأغراض التلذذ بذكره (ارتحل).

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر اي ارحل من الأكوان إلى المكون لكي تدخل من نوع الأية "وأن إلى ربك المنتهى".

الإطناب بالاعتراض لغرض التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيدا لمنطوق الأولى (فافهم ... إن كنت ذافهم).

التقييد بالشرط تفيد تنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل توبيخا له وقدم الجواب عن الشرط لاهتمام الأمر (إن كنت ذافهم ... فافهم).

٢. العنصر اللفظي:

أن التعبير بـ " الرحيل " فيه إشارة إلى المشقة التي تعترض طريق السالك إلى الله وأن هناك عقبات في طريق المخلصين من حظوظ النفس والدنيا والناس. وعليهم أن يجتازوها ويتجاوزوها لأن المسافر المخلص لله سيجد في النهاية

بغيته من سفره بعد المشقة والتعب. بخلاف السفر أنه تسافر من مكان إلى مكان بغير المشقة.

وابن عطاء الله قد ختم الحكمة بالسلام وكما يقول ابن عجيبة[٤٩]:" ختم هذا الباب بالسلام لما اشتملت عليه من الرحيل والمقام فكلها تدل على سفر القلب من شهود الخلق إلى شهود الحق فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر السلامة".

٣. العنصر الصوري:

شبه حال من يخرج من حظوظ نفسه ويعمل لأجل أن يراه الناس أو لأجل حظ من حظوظ الدنيا الفانية بحال الحمار الذي علق في الطاحونة " الرحى " وهو يسير سيرا دائما وهو في موضعه قائم والمكان الذي انتقل عنه هو المكان الذي رجع إليه . فكل منهما قد أتعب نفسه بغير فائدة مع نقصان حاله وفساد أمره وعدم انتفاعه بعمله. والتشبيه بـ" الحمار " هنا دليل على البلادة وقلة الفهم والتمثيل به مع إضافته إلى الرحى " حمار الرحى " مبالغة في تقبيح حال العاملين لأجل رؤية الناس أو لحظ من حظوظ الدنيا الفانية. فهذا الصنف من الناس لو فهم عن الله عز وجل لرحل عن حظوظ نفسه وهواه قاصدا إلى الوصول إلى حضرة مولاه.

٤. العنصر الإيقاعي:

---

[٤٩] الحسني، *إيقاظ الهمم*، ١١١/١.

التجانس بالعبارة المفردة المكررة حيث تنتظم نظام الأصوات (من كون إلى كون؛ فتكون) (ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه) والتجانس بالمشتاقات (من الأكوان إلى المكون). والتجانس بالتقارب المخارج (فتكون كحمار الرحى).

رد العجز على الصدر بجعل أحد الملحقين (من أوصاف وعن كل وصف) تسهلا في اخراج المخرج وتلذذا في النطق (فافهم ... إن كنت ذافهم).

٥. العنصر البنائي:

فابن عطاء الله في هذه الحكمة يشير إلى من يعمل على غير إخلاص في توجهه إلى الله عز وجل وهو من يعمل ليراه الناس أو لأجل طلب المنزلة عندهم أو يزهد في الدنيا ليعرف بذلك وتعلو منزلته وينتشر ذكره بين الناس فهو عامل على طلب الجزاء من الخلق أو نيل المنزلة عندهم وكل هذاوغيره قادح في إخلاص العمل لله عز وجل. وهذا ما قصده ابن عطاء الله بـ"الرحيل من كون إلى كون". فهو هنا قد رحل من حظ نفسه إلى حظ آخر من حظوظ النفس رحل من حظ النفس بالعبادة والطاعة ولكن لم يرحل إلى الله عز وجل وإنما رحل لحظ آخر من حظوظ النفس وهو طلب الذكر والشرف عند الناس فرحيله بذلك من " كون إلى كون " وعودته إلى المكان الذي بدأ منه ومن هنا مثل له بـ" حمار الرحى" الذي يسير بالليل والنهار وهو في موضعه الذي ارتحل منه.

وتأمل هنا في التعبير عن التوجه إلى الله بـ"الرحيل" وكيف ربط الشيخ بين أجزاء هذه الصورة الرائعة وبين الآية التي اقتبسها من سورة " النجم : "وأن إلى ربك

المنتهى". ثم ما نقله بعد ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الله ورسوله. كل ذلك أفرغه الشيخ في الصورة إفراغا واحدا أكمل معالم الصورة وربط بين أجزائها ربطا محكما بحيث صار كل جزء من الصورة مكم لاً للغرض .

فالتعبير بـ"الرحيل" هنا تعبير دقيق لأن المؤمن سالك إلى الله راحلا عن الدنيا وتارك لها فحاله مع الدنيا كحال المسافر الذي سينتقل عما قريب من المكان الذي أقام فيه فلا ثبات له ولا قرار لأن الدنيا وحظوظها مرحلة من مراحل الطريق في السير إلى الله. وعلى المؤمن أن يجتازها ويتخطاها في سيره إلى الحق سبحانه فلا تكن هدفا في ذاتها.

الحكمة الثالثة والأربعون

لا تصحب من لاينهضك حاله، ولايدلك على االله مقاله.

١. العنصر المعنوي:

النفي من خلال التتابع يفيد التهديد (لا تصحب ولا ينهضك ولا يدلك)

التفصيل بعد الإجمال بظاهرة التقسيم إلى أجزاء من لاتصحب به (لا ينهضك حاله، ولا يدلك على االله مقاله).

التقابل بين شيئين متضادين على سبيل التقرير بينهما (حاله و مقاله).

٢. العنصر اللفظي:

ينهضك حاله هو الذي ذارأيته ذكرت الله وقد اختر استعمال لفظها عن الأخر أنك كنت في حال الغفلة فلما رأيته نهض حالك إلى اليقظة أو كنت في حالة الرغبة.

٣. العنصر الإيقاعي:

تكرار فعل الماضي تلذذا لقارئ عند نطقه (لاتصحب و لاينهضك ولايدلك).

السجع الحسن المطرف بين الفاصلة بينهما (حاله و مقاله).

٤. العنصر البنائي:

وبعد ختم الباب الماضي بالسلام فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر السلامة ولما كان السفر لا بد فيه من دليل وإلا ضل عن سواء السبيل أفتتح الباب الخامس بذكر الصحبة وشروط المصحوب وآدابها فقال لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله.

وأبلغ ما يوصل إلى هذه المرتبة (يعنى المرتبة السابقة في الحكمة السالفة) صحبة العارفين باالله تعالى أمرا ضمن قوله (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على االله مقاله) بألا يكون حاله وهمته متعلقة باالله ومقاله لا يدل عليه وإن كان من العباد والزهاد فصحبته للمريد منهي عنها بخلاف صحبة من ينهضك حاله ويدلك على االله مقاله بأن تكون همته متعلقة باالله مرتفعة من المخلوقين، لا يلجأ في حوائجه إلا إلى االله تعالى ولا يتوكل في أموره إلا عليه سبحانه وتعالى قد سقط الناس من عينه، فلا يرى فيهم ضرا ولا نفعا، وسقطت

نفسه من عينه، فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضي لها حظا، ويكون في جميع أعماله جاريا على مقتضى الشرع من غير إفراط ولا تفريط. وهذه صفات العارفين بالله تعالى، فصحبة من هذه حاله وإن قلت عبادته ونوافله مأمورا للمريد لأ اجالبة لكل فائدة دينية ودنيوية. إن الطبع يسرق من الطبع بخلاف من لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة الظاهرة لا غير، فلا فائدة في صحبته.

الحكمة الرابعة والأربعون

ربما كنت مسيئا، فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك.

١. العنصر المعنوي:

التقابل بين المفردات بالتباين بينهما (مسيئا و الإحسان).

التأكيد بتكرير صياغ المخطاب (منك) والمشتقات (مسيئا و أسوأ).

التقديم المفعول التقرير وليس المقصود بالتخصيص او القصر (الإحسان منك صحبتك).

٢. العنصر اللفظي:

رب هنا للتكثير وصحبتك فاعل بأراك والأحسان مفعول مقدم والتقدير ربما تكون مسيئا في حالك مقصرا في عملك. ومسيئا: يقال: أساء فلان: أي أتى بما يسوء وأساء الشيء : لم يحسن وأساء إلى فلان : الحق به ما يسيئه.

الاحسان: يقال أحسن: فعل ما هو حسن وفي القرآن الكريم أن أحسنهم أحسنتم لأنفسكم.

والعبرة في الحكمة يذكر بالإحسن ولا بالحسن الإحسان أكرم من الحسن تعامل الإنسان حسنا أمر عادي لكن أن تحسن إليه هذه مرتبة أعلى من الحسن.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس في الألفاظ الأخيري حيث تنتظم نظام الأصوات منها (فأراك و منك صحبتك و منك).

رد العجز على الصدر بجعل أحد الملحقين (مسيئا و أسوأ) تلذذا عند النطق.

٤. العنصر البنائي:

قال في أصول الطريقة ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين وأسقاط حرمة المسلمين ودخول ما لا يعني وأتباع الهوى في كل شيء وسوء الخلق من غير مبالات. فصحبة مثل هذا ضرر محض وإليه أشار بقوله ربما كنت مسيأ فأراك الأحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك.

ثم لا يخلو إما أن يكون (يعنى الصاحب المقصر ذاك) مثلك فلا يحصل لك من صحبته ضرر وإما أن يكون دونك وهو ما أشار إليه بقوله: (ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان صحبتك من هو أسوأ منك حالا) يعني أن صحبة من هو دونك ضرر محض لأنه تغطي عنك عيوبك وتبين لك كمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس ورؤية إحسا أصل كل شيء فإن أردت ولا بد أن تصحب من لا

ينهضك حاله ولا يدلك على **الله** مقاله فاصحب مثلك حتى تكون في صحبته لا لك ولا عليك.

الحكمة الخامسة والأربعون

ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

١. العنصر المعنوي:

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم من صياغ الكلام (ما قل ولا كثر).

التقابل بين المواقف أو الموضوعات صدرا وعجزا ويتم التقابل مباشرة إلى الموضوعين المتقابلين (ما قل ... زاهد ولا كثر ... راغب).

التقابل بالجمع بين لفظين متقابلين في المعنى (زاهد و راغب).

الإطناب لفائدة تقويته وتوكيده بالتكرير (عمل برز من قلب).

٢. العنصر اللفظي:

الزهد في الشيء هو خروج محبته من القلب وبرودته منه وعند القوم بغض كل ما يشغل عن الله ويحبس عن حضرة الله.

ذكر في هذه الحكمة كلمتين متضادين في المعنى مقابلا بعضهم على بعض بـ ما قل ولاكثر حتى يشعر القارئ بجمال صياغه كي يتأمل دقة المعانيها.

واختر لفظ الزاهد في استعمال ألفاظها مع أن معناه غير متعلق بالدنيا ويعاقب بعده عن ضدها وهي الراغب في الدنيا.

ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله[٥٠] فرقا بين الفعل والعمل و ذلك في شرحه لكتاب الإيمان عند قول البخاري رحمه الله تعالى:(الإيمان: قول وفعل) قال رحمه الله: والفعل من الناس من يقول: هو مرادف للعمل. ومنهم من يقول: هو أعم من العمل. فمن هؤلاء من قال: الفعل يدخل فيه القول وعمل الجوارح، والعمل لا يدخل فيه القول على الإطلاق. ويشهد لهذا: قول عبيد بن عمير: ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول يفعل، وعمل يعمل. خرجه الخلال. ومنهم من قال: العمل: ما يحتاج إلى علاج ومشقة، والفعل: أعم من ذلك .ومنهم من قال: العمل: ما يحصل منه تأثير في المعمول كعمل الطين آجرا، والفعل أعم من ذلك.ومنهم من قال: العمل أشرف من الفعل، فلا يطلق العمل إلا على ما فيه شرف ورفعة بخلاف الفعل، فإن مقلوب عمل: لمع، ومعناه ظهر وأشرف.

٣. العنصر الإيقاعي:

السجع والتوازن هنا بين العبارتين في الوزن دون التقفية مقابلا بعضه عن بعض وتنتظم منها نظام الإيقاع بين الفقرتين.

٤. العنصر البنائي:

---

[٥٠] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٩)، ١/٥٠

وكان يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول[٥١] لعلماء وقته يا معشر العلماء دياركم هامانية ومراكبكم قاونية وأطعمتكم فرعونية وولائمكم جالوتية ومواسمكم جاهلية وقد صيرتم مذاهبكم شيطانية فأين الملة المحمدية ومما يتأكد النظر إليه في المصحوب الزهد في الدنيا ورفع الهمة عنها ولو قل عمله في الظاهر وإلى ذلك أشار بقوله ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

من نفائس الحكمة نعرف أن (ما قل عمل برز من قلب زاهد) أي غير متعلق في الدنيا بل هو وأن كان قليلا في الحس كثير في المعني لسلامته من الآفات القادحة في قبول الأعمال من الرياء والتصنع للناس وطلب الأعراض الدنيوية وعدم حضور القلب مع المولي في حال فعله لقلة الوساوس الشيطانية الناشئة من حب الدنيا.

(ولا كثر عمل برز من قلب راغب) في الدنيا بل هو وأن كان كثيرا في الحس قليلا في المعني لعدم سلامته مما ذكر وقد روي عن ابن مسعود أنه قال[٥٢]: ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا.

---

[٥١] الحسني، *إيقاظ الهمم*، ٧٢/١.

[٥٢]. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، *إحياء علوم الدين*، (بيروت : دار المعرفة)، ٣٨٤/٤.

الحكمة السادسة والأربعون

حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال.

١. العنصر المعنوي:

التفصيل نتبيّن من خلاله معالم الموضوع والفكرة بحيث تتضح أجزاؤه ومستوياته وحدوده بشكل مفصل أن حسن الأعمال من نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال.

التكرار الدلالي لتأكيد الجمل ويقصد به تكرار الموضوعات واحدا فواحدا.

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف في جميع ألفاظ الحكمة فان المعنى التي تتضمن فيها كثير ولفظه يسير.

٢. العنصر اللفظي:

الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة والأحوال حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب بالطمأنينة.

حسن الأحوال دليل على التحقق بالمقامات التي ينزل الله عبده فيها وحسن الأعمال دليل على حسن الأحوال والتحقق بالحال والسكون في المقام أمر باطني ويظهر أثره في عمل الجوارح.

نتائج حسن الأحوال هي القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والاخلاص لله. في مقامات الانزال وهي المقامات التي تنزل في قلوب العارفين. وهي كناية عن المعارف الإلهية.

٣. العنصر الصوري:

الكناية في مقامات الانزال وهي المقامات التي تنزل في قلوب العارفين كناية عن المعارف الإلهية.

٤. العنصر الإيقاعي:

الترصيع وتوازن الكلمة بلإيقاع الموحدة (حسن الأعمال، وحسن الأحوال).

السجع المرصع بتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير مع اتفقتهما في الفقرتين (الأحوال والإنزال). وهنا تساوت الفقرتان من السجع الحسن المعتدل لتساوي الفقرات فيه ذي الفواصل القصار المتلاحقة مما يمنحها زخما موسيقيا رنانا ونغما رتيبا.

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة (حسن الأحوال) وتنتظم نظام الصوت والنبرة منها.

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأذن في هذه الجكمة.

٥. العنصر البنائي:

ولما كان حسن العمل الظاهر وأتقانه الذي يكون به كماله ونقصانه إنما هو نتائج حسن الباطن وأحواله أشار إلى ذلك بقوله حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الأنزال.

من نفائس الحكمة نعرف أن (حسن الأعمال) بخلوها مما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره وحضور القلب مع **الله** في حال فعلها وعدم اشتغاله بغيره من الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الأحوال) القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والإخلاص **لله** بأن يقصد بعمله عبوديته **لله** تعالى، لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل.

(وحسن الأحوال) ناشئ (من التحقق في مقامات الإنزال) أي في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين وهي معارف إلهية يوردها **الله** تعالى على القلوب تكون سببا في ترك الدعوى وعدم الالتفات إلى جنة أو هرب من نار فإن المريد إذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره وإذا حصل ذلك، تخلص العمل مما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها.

الحكمة السابعة والأربعون

لا تترك الذكر، لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع

وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة، عما سوى المذكور ، "وما ذلك على االله بعزيز" (سورة إبراهيم ، آية . ٢٠).

١. العنصر المعنوي:

التفصيل نتبيّن من خلاله معالم الموضوع والفكرة بحيث تتضح أجزاؤه ومستوياته وحدوده بشكل مفصل أن لا تترك الذكر، لعدم حضورك مع االله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره.

التنوع بظاهرة فنية تتمثل في كونها مجموعة من الأشياء المختلفة فيما بينها على سبيل التفريع (فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة، عما سوى المذكور).

التقابل بين المواقف والموضوعات (هواتف الحقيقة بـ "ظواهر المكونات") ويتم التقابل مباشرة يشار إلى الموضوعات الاتي يتقابلون بعضهم بعضا بشكل العام.

التكرار اللفظي لتأكيد المنطق ويقصد به تكرار الألفاظ المستعملة في الحكمة واحدا فواحدا.

٢. العنصر اللفظي:

لا تترك الذكر: يعني لازمه وداوم عليه. ولعدم حضورك مع الله فيه بأن كان قلبك مشغولا بالوساوس الشيطانية والأغراض الدنيوية. ولأن غفلتك عن وجود ذكره

أشد لأن غفلتك عنه اعراض عنه بالكلية وفي ذكره اقبال عليه بوجه ما. فعسى أن يرفعك: أي يرقيك. ذكر مع وجود غفلة أي غفلة عنه سبحانه.

وما الفرق بين الدعاء والذكر، والإجابة أن الذكر في كثير من الأحيان دعاء والدعاء كثير من الأحيان ذكر وإن الذكر باعتباره وسيلة القرب من الله هو دائما دعاء وإن الدعاء وهو تضرع وخضوع لله تعالى هو دائما ذكر وليس بينهما فرق إلا في الصيغ والشكل. قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} وقال {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} إذن تكون هذه غير هذه. الدليل اللغة العربية التى نزل بها القرءان جعل لهذه مادة وهذه مادة. الذكر محض يالله أو لا إله إلا الله أو لا حول ولا قوة إلا بالله أو سبحان الله إلى آخره، ليس فيها دعاء وليس فيها طلب؛ فالذكر إخْبار بما يليق بجلاله تنزيها وحمدا هذا هو الذكر. إنما الدعاء فيه طلب، اللهم اغفر لي وارحمني وسامحني وارزقني إلى آخره فالطلب إنشاء والإخبار خبر. وهذا إشارة إلى المعنى الصريح المقصود من اللفظ عند تعدّد معاني لأن المطلوب من الحكمة الذكر.

ذكر مع وجود يقظه: تيقظ قلب والمراد بيقظة القلب هنا انتباهه إلى معنى الذكر الذي ينطق به اللسان، وعدم غياب الشعور عما يردده اللسان. وهو أول درجات توجه القلب إلى الله، وأولى خطوات الابتعاد عن الشواغل الدنيوية وأسبابها[٥٣].

---

[٥٣] البوطي، *شرح الحكم*، ١١٩/٢.

ذكر مع وجود حضور: حضور في حضرة الاقتراب بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه ولا يغفل عنه. غيبة عما سوى المذكور: وهو الله تعالى. وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان أو يخرج من غير قصد بل يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به لان صاحبه في مقام الحب. وما ذلك على الله بعزيز: آية ١٧ من سورة فاطر والمعنى ليس ذلك بممتنع في قدرته ولا ببعيد عن كرمه.

٣. العنصر الصوري:

الكناية في غيبة عما سوى المذكور كناية عن ذكر لفظ الجلالة تعالى لتعظيم شأنه.

٤. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المتكرّرة (غفلتك عن وجود ذكره) (ذكر مع وجود يقظة) (ذكر مع وجود حضور).

الترصيع بتوازن الألفاظ مع توافق الأعجاز (وجود ذكره و وجود غفلة و وجود يقظة و وجود حضور و سوى المذكور).

توازن العبارة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا في الحكمة.

الإيقاع المتنوع بحيث لا تتوحد أصواته ضمن التفعيلات أو القرارات في النص بقدر ماتتنوع في هيكلها العام وتتوحد في أجزاء منها، أي أنّ وحداتها الصوتيّة المنظمة تتنوّع في جملة من الأصوات.

٥. العنصر البنائي:

وأفضل الأعمال التي يقطع بها المريد المقامات وأقربها هو ذكر الله ولذلك ذكره بأثره فقال هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة نعرف أن (لا تترك الذكر) بل لازمه وداوم عليه فإنه أقرب الطرق إلى **الله** تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر أعطي منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أي حضور قلبك (مع **الله** فيه) بأن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والأغراض الدنيوية (لأن غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) الحاصلة (في وجود ذكره) لأن ترك الذكر فيه بعد عن **الله** بالقلب واللسان بخلاف الذكر فإنك أن بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر **الله** به وإن كان قلبك غافلا حال الذكر (فعسي أن يرفعك) أي يرقيك (من ذكر مع وجود غفلة) عن المولي (إلى ذكر مع وجود يقظة) أي تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الأدب وعدم الاشتغال عنه بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور) بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو **الله** بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج من الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذي به ينطق فإن بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وإن سمع كان سمعه كالئ يسمع به وهذه المعالم والمراقي لايعرف حقيقتها إلا السالكون وجدانا والعلماء إيمانا وتصديقا

فإياك والتكذيب بشيء من ذلك فتهلك مع الهالكين ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول إلى ذلك اه بقوله: (وما ذلك على االله بعزيز) لأنه قادر على كل شيء. فعلى القارئ القيام بالأسباب ومن االله الوصول ورفع الحجاب.

الحكمة الثامنة والأربعون

من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات، وترك الندم على مافعله من وجود الزلات.

١. العنصر المعنوي:

تقديم خبر مقدم يتعلق بكائن أو استقر مقدر لتنبيه على أن أول الأمر المهتم به خبر.

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى أن علامة موت القلب عدم الحزن على ما فات من الطابعات وترك الندم على ما فعلت من الزلات.

التقابل بين شيئين بالتفريع عن أحدهما عن أخر (عدم الحزن وترك الندم).

٢. العنصر اللفظي:

من علامات يذكر متعددة في الباب وغيره، وعلامة الشيء: ما أعلم بوجوده عند خفائه وغيبته. واختر ابن عطاء الله في الحكمة لفظ القلب لأن ما تقلب في النفوس هي القلب وليس بالصدور والقلب اما حيا واما ميتا فإحياء القلب

بالإيمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلاّت فإذا لم يكن العبد بهذا الوصف، وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما أتاه، فهو ميت القلب!!.

يقول ابن عطاء الله التعبير بالقلب وليس بالصدر. الصدر في القلب. الصدر هو في المقام من القلب بمنزلة بياض العين في العين. ومثل صحن الدار في الدار ومثل الذي يحوط بمكة ومثل موضع الماء في القنديل. فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات كما يعيب بياض العين آفة البثور وهيجان العرق وسائر على الرمد. وهو موضع نور الإسلام وهو موضع حفظ العلم المسموع الذي يتعلم من علم الأحكام والأخبار وكل ما يعبر عنه بلسان العبارة ويكون أول سبب الوصول إليه التعلم والسمع. وإنما سمي صدرا لأنه صدر القلب وأول مقامه كصدر النهار الذي هو اوله أو كصحن الدار الذي هو أول موضع منها. ويصدر منه وساوس الحوائج، وفكر الاشتغال تصدر منه إلى القلب أيضا إذا استقرت وطالت المدة.

واما القلب فهو المقام الثاني فيه. وهو داخل الصدر وهو كسواد العين اللى هو داخل العين وهو البياض وكبلد مكة الذي هو داخل الحرم وكموضع الفتيلة من القنديل وكالبيت داخل الدار وكاللور داخل القشر الأعلى وهو معدن نور الإيمان ونور الخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين والخوف والرجاء والصبر والقناعة وهو معدن أصول العلم. ولانه مثل عين الماء والصدر مثل الحوض. يخرج من

العين إليه الماء كالصدر يخرج من القلب إليه العلم. أو يدخل من طريق السمع إليه والقلب يهيج منه اليقين والعلم والنية حتى يخرج إلى الصدر. فالقلب هو الأصل والصدر هو الفرع[٥٤].

٣. العنصر الإيقاعي:

التوازن التفعيلي حيث تكرّرت فيها التفعيلة على وزن فعل بتسكين العين (علامات موت القلب).

التوازن مقطعي أو نبري ويشمل التعبير الفني مطلقا حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري في مديه الصوتي (على مافاتك من الموافقات).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالباء والتاء (القلب و من الموافقات و من وجود الزلات).

٤. العنصر البنائي:

ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ذكر علامة حياته وموته في أول الباب السادس فقال وقال رضي الله عنه من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلت من وجود الزلات.

---

[٥٤] أبي عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذي، *بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب*، (القاهرة، مركز الكتاب للنشر)، ١٩-٢٠.

من نفائس الحكمة نعرف أن (من علامات موت القلب) قلب المريد (عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات) أي الطاعات (وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات) أي من الزلات التي توجد منك وعلامة حياته بالأنوار الإلهية وإن لم تدركها لغلظ حجابك.

أما حزنك على ما فاتك من الطاعات وندمك على ما فعلت من الزلات فتفرح بصدور الأعمال منك فرحا شديدا، وتغتم على صدور المخالفات فذلك دليل على أنك من أهل الإرادة المحبوبين **الله**، فجد في السير ولا تكسل.

الحكمة التاسعة والأربعون

لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى؛ فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه.

١. العنصر المعنوي:

الأسلوب الإنشائ بالنهي لإرشاد ولزيادة النكتة في ذهن السامع.

التأكيد بالعبارة المكررة لمجرد التقرير والمبالغة في الأمر (لايعظم ... عظمة) (الذنب ... ذنبه).

الترتب أو الفعل وجوابه عملية الترتّب أن يكون الفعل إلزاميا والجواب إلزاميا (فإن من عرف ... استصغر في جنب كرمه ذنبه).

تقديم الفضلة عن العمدة (الفاعل) يفيد التأكيد والاهتمام فيما تقدم حصر و قصر (استصغر في جنب كرمه ذنبه).

٢. العنصر اللفظي:

أعظم – يعظم صار عظيما في الذنب ثم يؤكد بعظمة. واختر لفظ تصد عن دفع لأن تصد بمعنى تعرض له حاول منعه من الهجوم باختلاف دفع انه درء الحكم في الدعوى. وقال بلفظ فإن من عرف ربه اقتباسا على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف رنفسه فقد عرف ربه.

العبارة في الحكمة تكتب بالذنب. وما الفرق بين الذنب والإثم، الفرق بين الذنب والإثم ففي اللغة: الذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، ويستعمل في كل فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما حصل من عاقبته[٥٥]. والإثم هو اسم للأفعال البطيئة عن الخيرات، وقوله تعالى: (فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) يعني في تناولهما إبطاء عن الخيرات[٥٦]. أما في الشرع، فقد يكونان أي الإثم والذنب بمعنى واحد، مثل قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً) قال القرطبي[٥٧]: قيل هما بمعنى واحد كرر لاختلاف اللفظ تأكيدا له، والخطيئة هي هنا الذنب، وقيل في تفسير الآية: إن الخطيئة بمعنى الصغيرة،

---

[٥٥] محمد عبد الخالق عضيمة، *دراسات لأسلوب القرآن الكريم*، (القاهرة، دار الحديث)، ٣٩٧/٤

[٥٦] أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، (بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية)، ٦٢/١

[٥٧] أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي*، (لبنان، دار الفكر، ٢٠١٩ م)، ٢٦١/٣

والإثم بمعنى الكبيرة. والحاصل أن التبعير بالذنب أحسن من التعبير باللإثم أو الخطيئة تعبّر مباشرة عن المعنى المقصود بشكل مختصر وواضح.

٣. العنصر الإيقاعي:

رد العجز على الصدر بجعل أحد الملحقين (لايعظم ... عظمة) (الذنب ... ذنبه). حيث تنتظم نظام الأصوات وزيادة التلذذ عند النطق.

التوازن التفعيلي حيث تكرّرت فيها التفعيلة على وزن فعل بتسكين العين (حسن الظن بالله).

التجانس بالعبارة المفردة كانت ذات أصوات مختلفة تتناسب فيما بينها وهو أمر يرجع تمييزه إلى الذوق (ربه ... ذنبه).

٤. العنصر البنائي:

إن هذه الحكمة قد توخت تحقيق مقصد تمثلي عظيم به أنيط الفلاح في الدارين، وهو حسن ظن العبد بربّه ولا ينبغي للعبد أن يغلب النظر إلى جانب الذنب فيقل رجاؤه ويسئ الظن بسيده كما أشار إليه ابن عطاء الله في هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة نعرف أن (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن باالله) بأن يوقعك في اليأس والقنوط، فهذه غفلة مذمومة قادحة في الإيمان وهي شر عليك من ذنوبك وسببها جهلك بصفة مولاك ووقوفك مع

نفسك (فإنه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر في جنب كرمه ذنبه) فأي ذنب لا يسعه عفوه سبحانه.

أما عظمة الذنب التي تحمل مرتكبه على التوبة منه والإقلاع عنه وصدق العزم على ألا يعود إلى مثله، فهي عظمة محمودة، وهي من علامات إيمان العبد.

قال ابن مسعود: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأن بها في أصل جبل خاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره[٥٨]".

الحكمة الخمسون

لاصغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

١. العنصر المعنوي:

تقديم الجواب عن الشرط أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب (إذا قابلك عدله لاصغيرة ... وإذا واجهك فضله لا كبيرة).

الإيجاز بحذف الموصوف (ذنب) وتبقى الصفة على أن في الجكمة كلها ذات المعاني الكثير في لفظه القليل.

التقابل بالجمع بين لفظين متقابلين في المعنى (لاصغيرة ولا كبيرة).

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم مع التقرير والتحقيق من صياغ الكلام (لاصغيرة ولا كبيرة).

---

[٥٨] الحسني، إيقاظ الهمم، ١/٧٧.

٢. العنصر اللفظي:

الصغيرة هي الجريمة التي لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث والكبيرة هي التي توعد عليها بالعذاب أو الحد في القرآن أو في السنة.

٣. العنصر الإيقاعي:

لا صغيرة إذا قابلك عدله

| | | | |

ولا كبيرة إذا واجهك فضله

السجع التوازي التركيبي والصوتي، في الآن نفسه، لأن فيه تقابلا ما بين متواليتين صوتيتين: "لا/لا، صغيرة/كبيرة، إذا/إذا، قابلك/واجهك، عدله/فضله".

وقد ذكرها بطريقة تقابل ما بين المتواليات ليشد الانتباه إليها ويجعل ذهن المتلقي مستوعبا لها وعواطفه متأثرة بها. إن التوازي في هذه الحكمة يقدم العبارات بطريقة متساوية ومتماثلة من ناحية صيغ الوحدات اللغوية، فبنية العبارتين معا قائمة على "حرف نفي+اسم+اسم شرط+فعل+ضمير المخاطب+اسم+ضمير الغائب"، وهذا التماثل ما بين الوحدات يدعم التماثل ما بين الكبائر والصغائر في نظر الله عز وجل، فهو قادر بعدله على أن يصير صغائر المرء كبائر وبفضله على أن يصير الكبائر صغائر.

٤. العنصر البنائي:

فبعد ذكر ابن عطاء الله عن سبب حياة القلب وتركه سبب موته وما لا ينبغي للعبد أن يغلب النظر إلى جانب الذنب تحصل أن العارف لا يقف مع معصية وأن جلت ولا مع طاعة وأن عظمت وهو معنى قوله لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

من نفائس الحكمة نعرف أن (لا صغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (إذا قابلك عدله) وهو تصرفه في ملكه من غير هجرة عليه، فإذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه االله تعالى ومقته بطلب حسناته عادت صغائره كبائر (ولا كبيرة إذا واجهك فضله) وهو إعطاء الشيء بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فإذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلي قدس االله سره: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت.

الحكمة الحادية والخمسون

لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده.

١. العنصر المعنوي:

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم مع التقرير والتحقيق من صياغ الكلام (لا عمل أرجى).

التكرار يستفاد منه تأكيد الجملة (لا عمل ومن عمل) زيادة في مبالغة الأمر.

التقديم في صياغ المخاطب يفيد التقرير في ذهن المخاطب وليس المقصود بالتخصيص او القصر (يغيب عنك شهوده) (ويحتقر عندك وجوده) ولأجل رعاية الفاصلة بالهاء.

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر (يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده).

٢. العنصر اللفظي:

نسخة الشيخ بلفظ القلوب وهي أوفق بالسياق إذ الكلام كله في موت القلوب وحياتها يعني أنه لا عمل أرجي لحياة القلوب من عمل يكون بالله ولله غائبا فيه عما سواه.

لا عمل أرجي للقلوب لا عمل من أعمال البر أكثر رجاء لاصلاح القلوب.

ومن عمل يغيب عنك شهوده بأن تشهد أن الذي وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك. ويحتقر عندك وجوده بألا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور كالوصول إلى الله وذلك لرؤيتك التقصير فيه.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المفردة المكررة حيث تنتظم نظام الأصوات (لا عمل ومن عمل).

السجع التوازي التركيبي والصوتي أن فيه تقابلا ما بين متواليتين صوتيتين: " يغيب/يحتقر، عنك/عندك، شهوده/وجوده".

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بللام (لاعمل أرجى للقلوب من عمل) والهاء (شهوده وجوده).

٤. العنصر البنائي:

وذكر رضي الله عن علامة موت القلب ذكر الأعمال التي توجب حياته فقال لا عمل أرجي للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويتحقر عندك وجوده.

من نفائس الحكمة نعرف أن (لا عمل أرجي للقبول) أي لقبول **الله** له (من عمل يغيب عنك شهوده) بأن تشهد بأن الذي وفقك له هو **الله** تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك العمل (ويحتقر عندك وجوده) بألا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور كالوصول إلى **الله** والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك والتقصير فيه وعدم سلامة من الآفات المانعة من قبوله. وفي بعض النسخ يقول الشرقاوي[٥٩] أرجى للقلوب أي لصلاحها.

الحكمة الثانية والخمسون

إنما أورد عليك الوارد؛ لتكون به عليه واردا.

١. العنصر المعنوي:

[٥٩] الشرقاوي، المنح القدسية، (بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية)، ٣٨.

فمن هذا الإيجاز ما ذكره ابن عطاء في هذه الحكمة. وأقصد بالإيجاز هنا ما يكون بإيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ[٦٠] وهو الإيجاز الذي يكون بما زاد معناه عن لفظه وهو إيجاز القصر[٦١] عند البلاغيين. وهذا القسم من الإيجاز التنبه له عسر لأنه يحتاج إلى فضل تأمل وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك إلا من رست قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة كما يقول ابن الأثير.

التنوع بظاهرة فنية تتمثل في كونها مجموعة من الأشياء المختلفة فيما بينها على سبيل التفريع. وقد أشار إلى القسم الأول وهو وارد الأنتباه بقوله إنما أورد عليك إلخ. ثم أشار إلى القسم الثاني وهو وارد الأقبال فقال أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار. ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك.

التأكيد بالعبارة المكررة من المشتقات لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع (أورد ... الوارد ... واردا).

٢. العنصر اللفظي:

الوارد الأول نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده. والوارد الثاني الوصول وهو نور يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه إلى الله

---

[٦٠] خليفة، كشف الظنون، ١٢٣/٤.

[٦١] أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٢٨ م – ١٤٠٢ م)،

تعالى. وهما تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى زيادة عن جمالية الألفاظ وجزيلة المعاني.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (أورد ... الوارد).

السجع الحسن المتوازي المعتدل في صياغته (الوارد ... واردا.).

٤. العنصر البنائي:

وإذا حيي القلب بمعرفة الله كان محلا لتجلي الواردات الألهية وإلى ذلك أشار إلى القسم الأول وهو وارد الأنتباه بقوله إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا.

من نفائس الحكمة (إنما أورد عليك الوارد) يطلق الوارد على ما يتحف **الله** عبده من العلوم الوهبية والأنوار العرفانية التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه فيري الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تجل إلهي يرد على القلب وإن لم يشعر به العبد لغلظ بشريته.

وقد يعبر عنه بالحا، وهذا هو المراد هنا (لتكون به عليه واردا) أي: مقبلا على الدخول في حضرته، ومعلوم أن الدخول في تلك الحضرة لا يكون إلا لقلب خالص مما يكدره.

الحكمة الثالثة والخمسون

أورد عليك الوارد، ليستعملك من يد الأغيار، ويحررك من رق الآثار.

١. العنصر المعنوي:

التنوع على سبيل التفريع وهذه الحكمة من النوع الثاني التي ذكرنا من قبل.

التأكيد بالعبارة المكررة من المشتقات لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع (أورد عليك الوارد).

التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها لفائدة التأكيد لمنطوق الأولى (ليستعملك من يد الأغيار، ويحررك من رق الآثار).

٢. العنصر اللفظي:

اختر ابن عطاء الله لفظ الأغيار والآثار وهما من أعراض الدنيا وشهوات النفس غاصبة لك لحبك لها وسكونك إليها. فأورد عليك الوارد ليستلمك قهرا من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك فتكون حينئذ صالحا لعبوديته ومشاهدا لعظمة ربوبيته.

التعبير باستعمال ولا باستخدام والفرق بينهما أن الاستعمال يأتي في كلام العرب بمعنى طلب العمل يقال: استعملت فلانا أي سألته وطلبت منه أن يعمل لي. والعمل عند العرب أن تجعل شخصا يشرف على فئة معينة فيكون نائبا لك فيطيعونه ويأتمرون بأمره. ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار، فلما خرجوا قال: وجد عليهم في شيء قال :

فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تطيعوني). والشاهد فيه قوله: واستعمل عليهم رجلا من الأنصار أي جعله مشرفا عليهم يطيعونه وينفذون أوامره. والاستخدام يأتي في كلامهم بمعنى طلب الخدمة يقال: استخدمت فلانا أي سألته وطلبت منه الخدمة. ومنه حديث فاطمة رضي الله عنها أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تستخدمه فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك تسبحين ثلاثا وثلاثين ...) الحديث. الشاهد فيه: تستخدمه أي أنها طلبت منه أن يجد لها خادما يخدمها.

وأورد عليك الوارد، ليستعملك من يد الأغيار، اي جعله مشرفا عليك بجعل الأورد ويخرجك من يد الأغيار تشريفا لك.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (أورد ... الوارد).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالدال (أورد ... الوارد). والراء (من يد الأغيار ... من رق الآثار).

التوازن التفعيلي بالإيقاع الموحد بحيث نتوحد الصوت المنتظم في جملة الأصوات (من يد الأغيار ... من رق الآثار).

٤. العنصر البنائي:

فبعد أشار إلى القسم الأول وهو وارد الأنتباه ثم أشار إلى القسم الثاني وهو وارد الأقبال فقال أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار.

أن الأغيار والآثار هي الأغراض الدنيوية وشهوات النفوس فهي غاصبة لك لحبك لها وسكونك إليها واعتمادك عليها.

فأورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك فلايكون للمخلوق فيك نصيب ولا شركة وتكون سالم ا **الله** عز وجل فتصلح للحضور معه.

الحكمة الرابعة والخمسون

أورد عليك الوارد، ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك.

١. العنصر المعنوي:

التنوع على سبيل التفريع وهذه الحكمة من النوع الثالث التي ذكرنا من قبل.

التأكيد بالعبارة المكررة من المشتقات لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع (أورد عليك الوارد).

التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها لفائدة التأكيد لمنطوق الأولى (ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك).

٢. العنصر اللفظي:

اختر لفظ السجن كأن وجود الإنسان مسجون في السجن فأورد عليك الوارد ليخرجك منه إلى فضاء شهودك. والشهود من يؤدي الشهادة في الحكمة باخلاف النظر فإنه نظر بالبصر فاستعمال شهود أحسن من نظور.

٣. العنصر الصوري:

الإستعارة بالعلاقة المشابهة كأن وجود الإنسان مسجون في السجن فأورد عليك الوارد ليخرجك منه إلى فضاء شهودك.

٤. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المفردة ويقصد بها اللفظة الواحدة التي يتحقّق فيها تجانس أصواتها متوحدة (أورد ... الوارد).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالدال (أورد ... الوارد). والكاف (من سجن وجودك إلى فضاء شهودك).

التوازن التفعيلي بالإيقاع الموحد بحيث نتوحد الصوت المنتظم في جملة الأصوات (من سجن وجودك إلى فضاء شهودك).

٥. العنصر البنائي:

فبعد أشار أشار إلى القسم الثاني وهو وارد الأقبال ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك.

من نفائس الحكمة (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك) أي صفاتك القائمة به المانعة لك من شهود مولاك كالسجن المانع للمسجون من الخروج (إلى فضاء شهودك) أي شهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شيء يحول عن الرؤية.

الحكمة الخامسة والخمسون

الأنوار مطايا القلوب والأسرار.

١. العنصر المعنوي:

إيجاز قصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف فان معاني الحكمة كثير ولفظها يسير.

تفصيل الموضوعات بالتقسيم التي تعني تصنيف الظواهر إلى أقسام وأجزاء متنوّعة (الأنوار والأسرار).

تقديم الخبر عن أجزاء المبتداء للإهتمام على ما هو أفضل ويهتم به (مطايا القلوب).

٢. العنصر اللفظي:

النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى اسم أو صفة يسري معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل أبصارا لا يمكنه التخلف معه عن موجبه.

المطايا جمع مطية وهي الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهو الحقيقة القابلة للمفهومات. والأسرار جمع سر وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر أدق وأصفي من القلب والكل أسم للروح فإن الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفسا، فإذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سميت عقلا، فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سميت قلبا، فإذا أطمأنت وسكنت وأستراحت من تعب البشرية سميت روحا، فإذا تصفت من غبش الحس سميت سرا، لكونها صارت سرا من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها وهو سر الجبروت. وهذا دالة على دق اختيار الألفاظ في هذه الحكمة.

٣. العنصر الصوري:

الأنوار كناية عن اللإيمان الذي يبصر الحق بها والأسرار كناية عن حقيقة اليقين القابلة للتجليات.

٤. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع الخارجي الموحد حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالراء (الأنوار والأسرار).

التوازن التفعيلي بالإيقاع الموحد بحيث نتوحد الصوت المنتظم في جملة الأصوات (الأنوار والأسرار).

٥. العنصر البنائي:

فبعد قدم الشيخ رق الأكوان على سجن وجود الأنسان ثم فسر تلك الواردات فقال الأنوار مطايا القلوب والأسرار.

من نفائس الحكمة (الأنوار) الإلهية التي ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الأذكار والرياضات (مطايا القلوب) توصلها إلى مطلوب التي هي متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه كتوصيل المطية راكبها إلى مطلوبه (والأسرار) أي مطايا الأسرار أيضا جمع سربوهو باطن القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين القلب لأنه خلاف اصطلاحهم.

الحكمة السادسة والخمسون

النور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد االله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

١. العنصر المعنوي:

التقابل بين المواقف والموضوعات صدرا وعجزا ويتم التقابل مباشرة إلى الموضوعين المتقابلين (النور جند القلب ... الظلمة جند النفس) (أمده بجنود الأنوار ... وقطع عنه مدد الظلم).

الترتب أو الفعل وجوابه أي فإن الترتب بدوره عملية تأرجح بين شيئين والمطلوب منه الجواب على سبيل التحقيق (فإذا أراد االله ... أمده بجنود الأنوار).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء (أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار).

٢. العنصر اللفظي:

النور جند القلب أي يتوصل به القلب إلى ما يقصده ويتوجه إليه وهو حضرة الرب. والظلمة جند النفس أي تتوصل بها إلى مقصودها وهو الشهوات والأغراض العاجلة.

بنصر عبده أي يعينه على نفسه وتمع شهواتها. أمده بجنود الأنوار أي يجنود هي الأنوار أو الانوار الشبيهة بالجنود ومعنى أمده أمد قلبه. قطع عنه مدد الظلم أي قطع عنه مددا هو الظلم بفتح اللام جمع ظلمة.

الظلم والأغيار هذا العطف من عطف المرادف فالظلم مي الأغيار. اللمة: الشدة ويقال أصابت فلان من الجن لمة وهو المس والشيء القليل.

٣. العنصر الصوري:

وقد أشار ابن عجيبة إلى الكناية في هذه الحكمة فقال[٦٢]: " النفس والعقل والقلب والروح أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية النورانية المودعة في هذا القالب الجسماني الظلماني وإنما اختلفت أسماؤها باختلاف باختلاف أحوالها وتنقل أطوارها ومثال ذلك كماء المطر النازل في أصل الشجرة ثم يصعد في

---

[٦٢] الحسني، *ايقاظ الهمم*، ١/ ١٤٩.

فروعها فيظهر ورقاً ثم نورا وأزهارا. فالماء واحد واختلفت أسماؤه باختلاف أطواره فعلى هذا يكون تقابل القلب مع النفس بالمحاربة كناية عن صعوبة انتقال الروح من وطن الظلمة التي هي محل النفس إلى وطن النور الذي هو محل القلب وما بعده .فالقلب يحاربها لينقلها إلى أصلها وهي تتقاعد وتسقط إلى أرض البشرية وشهواتها. فالقلب له أنوار الواردات تقربه وتنصره حتى يترقى إلى موطنه في عالم الملكوت وكأن هذه الواردات جنود له من حيث إنه يتقوى بها وينتصر على ظلمة النفس. وهذه الأنوار هي الواردات المتقدمة والنفس لما ركنت إلى الشهوات واستحلتها صارت كأنها جنود لها وهي ظلمة من حيث إنها حجبتها عن الحق ومنعتها من شهود شموس العرفان".

وهذا التقابل الكنائي في الصورة مفعم بالحركة وفيه تجسيد للصراع بين النفس المؤمنة وهواها بين جذبات الحق وهتافات الباطل وإن شئت قلت: بين دعوات الإيمان وشبهات الضلال من الهوى والنفس والشيطان.

وهذه الصورة الكنائية قد ساعدها على إكمال معالم هذه اللوحة التصويرية استخدامه للتشبيه في قوله: "فإذا أراد االله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار". ومقصده بـ"جنود" هي الأنوار أو بالأنوار المشبهة بالجنود فإنها إذا حصلت له أدرك بها قبح الشهوات.

٤. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المتكرّرة (جند القلب و جند النفس و بجنود الأنوار).

التوازن مقطعي أو نبري ويشمل التعبير الفني مطلقا، حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري لا يتجاوز الحرفين أو الحرف ومداه الصوتي (النور جند القلب ... الظلمة جند النفس).

توازن الكلمة حيث تنتظم في نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط بكل من الحركات والسكنات والقرار نظما صوتيا (جند القلب ... جند النفس) (الأنوار ... والأغيار.).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالراء (بجنود الأنوار ... مدد الظلم والأغيار.).

٥. العنصر البنائي:

ثم بين ابن عطاء الله كيفية السير على هذه المطايا وما يعوقها عن السير فقال هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة أن (النور جند القلب) أي يتوصل به إلى ما يقصده ويتوجه إليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الأمير بجنده إلى ما يقصده من غلبة عدوه وهذا مستفاد مما قبله وإنما أتي به توطئة لقوله: (كما أن الظلمة) وهي طبيعة العبد (جند النفس) تتوصل بها إلى مقصودها وهي الشهوات والأغراض العاجلة ومازالت الحرب واقعة بين القلب والنفس (فإذا أراد **الله** أن ينصر عبده) أي يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمده) أيل أمد قلبه (بجنود الأنوار) أي بجنود هي الأنوار أو بالأنوار الشبيهة بالجنود، فإ نها إذا حصلت له أدرك قبح الشهوات

العائقة عن الوصول إلى **الله** تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والأغيار) أي مددا هو الظلم والأغيار، وهما بمعني واحد، وإذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك، فإذا مال القلب إلى عمل صالح كصوم غد ومالت النفس إلى شهوة كالفطر وتنازعًا وتقاتلا سارع النور الذي هو من **الله** تعالى ورحمة إلى نصرة القلب والظلمة إلى نصرة النفس وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجنديين لا سبيل للعبد إلا فزعه إلى **الله** وتوكله عليه وهكذا في كل عمل صالح إلى أن يصل إلى **الله** تعالى فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة.

الحكمة السابعة والخمسون

النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار.

١. العنصر المعنوي:

التنوع بالتقسيم على سبيل التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى على ثلاثة مراتب أن النور يفيد الكشف، والبصيرة تفيد الحكم، والقلب تفيد الإقبال والإدبار.

الإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف في ألفاظ الحكمة.

التأكيد والتلذذ بتكرير ما اشتاق من الكلام حيث اهتم به المتكلم (له ... لها).

التقابل بالجمع بين لفظين متقابلين في المعنى (الإقبال والإدبار) لتخيير بينهما.

٢. العنصر اللفظي:

النور له الكشف والمراد بالنور الذي يقذفه الله في قلب عبده. ومعنى له الكشف أي كشف المعاني مثل حسن الطاعة رقبح المعصية. والبصيرة لها الحكم البصيرة هي عين القلب. ومعنى لها الحكم أي إدراك الأمر الذي شاهدته.

والقلب له الاقبال والادبار الاقبال أي على ما كشف للبصيرة وحكمت بحسنه كالطاعة. والعلاقة بينهم أن النور من حيث هو من شأنه يكشف الأمور ويوضحها حتى حسنها من قبيحها ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح بقبحه والقلب يقبل على ما يثبت حسنه ويدبر عن ما يثبت قبحه أو تقول يقبل على ما فيه نفعه ويدبر عما فيه ضرره. والادهار أي عما كشف لها وحكمت بقبحه كالمعصية.

٣. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن.

التجانس بالعبارة المكررة (له ولها).

توازن المفردة من حيث توازن الكلمتين (الإقبال والإدبار).

٤. العنصر البنائي:

ولما كان النور هو جند القلب لأنه يكشف عن حقائق الأشياء فيتميز الحق من الباطل فيحق الحق ويبطل الباطل فينتصر القلب بإقباله على الحق على بينة

واضحة وتنهزم النفس بأنهزام جند ظلماتها إذ لابقاء للظلمة مع وضوح النور كما أشار إلى ذلك في هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة أن (النور) الذي يفيضه **الله** على قلب المريد (له الكشف) أي كشف المعاني والمغيبات كحسن الطاعة وقبح المعصية، (والبصيرة) التي هي نظر القلب (لها الحكم) أي إدراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن إدراك البصر للمحسوسات إلا بالأنوار الظاهرية كسراج أو شمس فإنه لا يمكن إدراك البصرية لشيء من المعاني إلا بالأنوار الباطنية (والقلب له الإقبال والإدبار) على ما كشف للبصيرة فإذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية، أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح.

الحكمة الثامنة والخمسون

لا تفرحك الطاعة؛ لأنها برزت منك، وافرح بها، لأنها برزت من االله إليك: "قل بفضل االله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" (سورة يونس ، آية ٥٨).

١. العنصر المعنوي:

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم على ما أمر (لا تفرحك الطاعة).

التقابل بين المواقف والموضوعات صدرا وعجزا ويتم التقابل مباشرة إلى الموضوعين المتقابلين في المعنى (لا تفرحك الطاعة ... وافرح بها).

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر اي من فرح بالطاعة لأنها برزت من االله من نوع الأية (قل بفضل االله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

٢. العنصر اللفظي:

الفرق بين السرور والفرح أن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سرورا ألا ترى أنك تقول الصبيان يفرحون بالسباحة والرقص ولا تقول يسرون بذلك، ونقيض السرور الحزن ونقيض الفرح الغم فرجح الفرح عن السرور. وفي الحكمة يقصد أن الفرح أعم من السرور ورجح لفظ برزت عن ظهرت أن نعنى برز ظهر بعد خفاء وهذا ابتعاد عن الألفاظ الغريبة والغامضة في الحكمة.

٣. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن.

التجانس بالعبارة المكررة (لأنها برزت) و المكررة من المشتقات (لا تفرحك وافرح).

توازن المفردة من حيث توازن الكلمتين (منك وإليك).

٤. العنصر البنائي:

ولما كان أصل كل نور وسر وخير هو طاعة الله وأصل كل ظلمة وحجاب وبعد هو معصية الله ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور المعصية نبهك الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التي هي سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال الشيخ هذه تاجكمة.

من نفائس الحكمة (لاتفرحك الطاعة لأنها برزت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك، فهذا فرح مذموم منهي عنه محبط لها ولكن (وافرح لأ نها برزت من االله إليك) أي من حيث شهودها من االله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد وهو مقتضى شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللَّهِ وَبِرحْمَتهِ فبذَلكَ فَلْيَفْرحُوا هُوَ خَيْرٌ مما يجْمَعونَ﴾ [يونس: ٥٨] فإيصال تلك الطاعة إليه وإظهارها على يده اعتناءً من االله سبحانه وتعالى. فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها.

الحكمة التاسعة والخمسون

قطع السائرين له، والواصلين إليه، عن رؤية أعمالهم، وشهود أحوالهم. أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع االله فيها، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها.

١. العنصر المعنوي:

الحذف بحذف الفاعل ومرجع الضمير ألاهو لفظ الجلالة لتعظيم درجته بالقرب و ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن (قطع وله وإليه).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى (قطع السائرين له ... والواصلين إليه).

التقابل بين المواقف والموضوعات صدرا وعجزا ويتم التقابل مباشرة إلى الموضوعين المتقابلين بين السائرين له والواصلين إليه (أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع االله فيها، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها).

التقابل بين شيئين بالتفريع عن أحدهما عن أخر (عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم).

التأكيد بالعبرة المكررة لمجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع (السائرين ... الواصلين).

٢. العنصر اللفظي:

قطع أي حجب ومنع. قال ابن عجيبة و قطع بمعنى غيب ولو عبر به لكان أظهر وأسهل لما في تعبير القطع من الشؤم. ثم قال أول عبارته شيء من النقص. فلو قال غيب السائرين فلانهم لم يتحققوا فيها الصدق مع الله وأما الواصلون فلأنهم لم يشهدوا مع الله سواه.

قطع السائرين له أي حجهم عن رؤية أعمالهم وفاعل قطع ضمير يعود إلى الحق سبحانه وتعالى والسائرين والواصلين مفعول به. قطع الواصلين إليه: أي منعهم عن شهرد أحوالهم. ففي الكلام لف و نشر مرتب كما يقول علماء السلالة والبديع. أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها أي لرؤيتهم تقصا بعدم حضور الرمم مع الله حال فعلها فهم دائما متهمون نفوسهم في توفية أعمالهم حقها. وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهرده عنها أي أنهم نسبوها إليه ثريا من حولهم وقوتهم.

٣. العنصر الإيقاعي:

توازن الكلمة وتنتظم نظام نبري والإيقاع الذي يرتبط نظما صوتيا (السائرين والواصلين) (أعمالهم و أحوالهم) (السائرون و الواصلون).

التجانس بالعبارة المفردة المكررة (أما ... فلأنهم) والتجانس بالمشتاقات (السائرين له ... والواصلين إليه بـ السائرون والواصلون).

الإيقاع المتنوعة كونه لا تتوحد أصواته ضمن التفعيلات أو القرارات في النص بقدر ما تتنوع في هيكلها العام وتتوحد في أجزاء منها، أي أن وحداتها الصوتية المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات بالهاء (له ... إليه) والميم (أعمالهم ... أحوالهم) والألف (فيها ... عنها).

٤. العنصر البنائي:

ولما كان الفرح بالطاعة قد يتوهم أنه فرع رؤيتها والنظر إليها رفع ذلك بقول في هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة (قطع) بمعنى حجب ومنع (السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرية (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب في انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف. (أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع **الله** فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلو م مع **الله** حالفعلها فهم دائما متهمون نفوسهم في توفية أعمالهم حقها وفي صفاء أحوال قلوبهم، فكان ذلك سببا في البراءة من رؤيتها وشهودها (وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) أي لأنهم نسبوها إليه تبرؤا من حولهم وقوبهم فقطعهم عن ذلك شهودهم له في حضرة قربه ومن شاهد لم يشاهد معه غيره وقد أسبغ **الله** النعمة على الفريقين حيث عافاهم من التعلق بأعمالهم وأحوالهم إلا أنه فعل ذلك بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا ولا شك أن هذا المقام أرقى من الأول ولهذا لما سأل الواسطي أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا : كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها قال لهم: أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها! يريد بذلك ترقي همتهم إلى مقام العرفان لا تحقير ما هم عليه فإنه من الإحسان.

وهذا آخر الباب السادس وبه أنتهي ربع الكتاب وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها وأستمداد أنوارها وأتصال وارداتها حتي تغيب عن شهود

أعمالها وأحوالها وتفني عن دائرة حسها بأتساع فضاء شهودها وفي ذلك شرفها وعزها وفي ضد ذلك وهو رؤية المخلوق والركون إليه ذلها وهوانها.

الحكمة الستون

ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع.

١. العنصر المعنوي:

القصر بالنفي والإستثناء فمعناه تخصيص أغصان ذل ببذر طمع.

تعريف المسند إليه بالإضافة نها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع (أغصان ذل).

الإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف فان معنى كل من الحكمة كثيرة ولفظها يسيرة.

٢. العنصر اللفظي:

البسوق هو الطول يقال بسقات النخلة بسوقا قال بسقات النخلة بسوقا إذا طالت قال تعالى "والنخل باسقات" أي طويلات. والأغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون. والبذر هو الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحة.

والتعبير الطمع أحسن من التعبير بالجشع. والفرق بينهما أن الطمع هو ان تريد لنفسك اكثر من غيرك. والجشع هو ان تريد المزيد لنفسك والقليل لغيرك.

والطماع يطالب بصحن ثاني قبل إنهاء الاول. بينما الجشع يطالب بصحون الاخرين لزيادة الكمية لديه.

والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتاد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي وجود العزة. والعزة التي اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم إلى مولاهم وطمانينة قلوبهم إليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المؤمن.

٣. العنصر الصوري:

الإستعارة بالعلاقة المشابهه. وقد شبه هنا الذل بشجرة على طريق الاستعارة المكنية وأثبت لها الأغصان تخييلاً وبسقت ترشيح . وإضافة بذر إلى طمع من إضافة المشبه به للمشبه أي طمع شبيه بالبذر أي المبذور الذي تنشأ عنه الشجرة. والمراد لا تغرس بذر الطمع في قلبك فتخرج شجرة من الذل وتتشعب أغصانها. فإن الطمع أصل جميع الآفات لأنه موجب للوقوع في عظيم المهلكات فلا يزال صاحبه يتملق إلى الناس حتى يحصل له من نور يقينه الإفلاس مع أن المؤمن ينبغي أن يحرص على عزة إيمانه المتين.

٤. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالإضافة (أغصان ذل ... بذر طمع).

٥. العنصر البنائي:

وبعد اختتام الباب السادس عن علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها افتتح ابن عطاء الله الباب السابع من الحكم العطائية وقال رضي الله عنه ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع.

من نفائس الحكمة (ما بسقت) يقال بسقت النخلة بسوق إذا طالت أي ما طالت (أغصان ذل إلا على بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والأغصان تخييل باقٍ على حقيقته أو مستعار لأنواع الذل وبسقت ترسيخ باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التي تنشأ عنها الشجرة، فإضافة بذر له من إضافة المشبه به للمشبه أي طمع شبيه بالبذر أي المبذور الذي تنشأ عنه الشجرة ذات الأغصان فكأنه يقول لا تغرس بذر الطمع في قلبك فيخرج منه شجرة الذل وتتشعب أغصا نها وفروعها ولو قال ما بسقت شجرة الذل لكان أولى لأن الذي يتصف بالطول وينشأ عن البذر هو أصل الشجرة ووصف الأغصان بذلك بطريق التبع. فالطمع من أعظم العيوب القادحة في العبودية بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلكمن المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه.

الحكمة الحادية والستون

ما قادك شيء مثل الوهم.

١. العنصر المعنوي:

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم وليس المطلوب من النفي بالنفي الحقيقي (ما قادك).

الإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف فان معنى كل من الحكمة كثيرة ولفظها يسيرة.

٢. العنصر اللفظي:

قاد الشيء يقوده جره إليه وقدت البهيمة جررتها إليك والوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية أول الخاطر وهو أضعف من الشك والمراد هنا ما خالف اليقين فيصدق بالظن والشك.

ولايقول بالشك بل الوهم أن الشك هو اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، بمعنى أن يكون طرف الوقوع واللاوقوع على السوية، وإن كان أحد الطرفين مرجوحا فالمرجوح هو الوهم، والراجح هو الظن. يعني أن انقياد النفس إلى الأمور الوهمية الباطلة أشد من انقيادها إلى الحقائق الثابتة فتوهم النفع من المخلوقين.

٣. العنصر البنائي:

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوهم والجزع ذكره بأثره فقال ابن عطاء الله ما قادك شيء مثل الوهم.

من نفائس الحكمة (ما قادك شيء مثل الوهم) يعني أن الوهم سبب في الطمع في الناس وذلك كاف في قبحه لأن الوهم الذي أصله شيء عدمي إذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديري لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها إلى العقل.

الحكمة الثانية والستون

أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع.

١. العنصر المعنوي:

التأكيد والتقرير بتكرير صياغ المخاطب دفعا عن غفلة السامع (أنت).

تقديم الفضلة عن العمدة لتنبيه على لتعظيم شأن ما تقدم (عنه وله).

تقديم الخبر (عبد) عن المبتداء (أنت) لتنبيه السامع على أهمية الخبر عن المبتداء.

الطباق بالجمع بين لفظين متقابلين في المعنى (حر ... عبد) (آيس ... طامع).

٢. العنصر اللفظي:

أن المتكلم يستحضر المتلقي في خطاب الحكم التوجه بالخطاب إلى ضمير المخاطب "أنت"، فمن سمات هذه الحكم أنها تحتفي بالمتلقي وتعبر عنه بضمير يثبت وجوده وقيمته عند المتكلم.

وإن التوجه بالخطاب إلى الآخر بضمير المخاطب ليس ذا طابع عفوي وساذج وإنما توجه ذو غاية حجاجية بالأساس. فالخطاب الذي ينسف خطاب شخص ما عادة لا يتوجه إليه بضمير المخاطب "أنت"، وإنما يستعيض عن ذلك بضمير هو، أي إنه يحاول أن ينفي وجوده، فيغدو الخطاب بالغيبة وسيلة لتجاهله، بخلاف ذلك فإن الخطاب بـ"أنت" هنا هو خطاب يؤمن بالآخر ويشعره بالقرب منه الأمر الذي يجعل من هذه الحكمة، حكمة قائمة على التوافق مع المتلقي ومراعاته.

٣. العنصر الإيقاعي:

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة (أنت).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن.

٤. العنصر البنائي:

ولما كان الوهم ينشأ عنه الطمع والطمع ينشأ عنه الذل والعبودية واليقين ينشأ عنه الورع والورع ينشأ عنه العز والحرية نبه عليه بقوله أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت فيه طامع.

من نفائس الحكمة (أنت حر مما أنت عنه آيس) أي من كل ما أنت آيس منه (وعبد لما أنت فيه طامع) أي من كل ما أنت طامع فيه، فعز بمعنى من وفي هذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح الإياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه أن الطمع في الشيء عبودية كما أن اليأس في الشيءحرية منه لأنه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه.

فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل: "العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع."

والقناعة هي السكون عند عدم المألوف وهي أول الزهد.

الحكمة الثالثة والستون

من لم يقبل على االله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الإمتحان.

١. العنصر المعنوي:

الترتب أو الفعل وجوابه لإيفادة التخيير بين شيئين مختلفين (من لم يقبل ... قيد إليه).

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم (من لم يقبل على االله).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى. وهي على قسمين قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقياما بشكر إنعامه وأمتنانه وهم أهل مقام الشكر

وقسم أقبل على الله بسلاسل الأمتحان وضروب البلايا والمحن وهم أهل مقام الصبر.

التقابل بين المواقف والموضوعات (بملاطفات الإحسان ... بسلاسل الإمتحان) ويتم التقابل مباشرة يشار إلى الموضوعات الاتي يتقابلون بعضهم بعضا.

٢. العنصر اللفظي:

من لم يقبل على الله تعالى بسبب ملاطفاته هي الإحسان قيد بالبناء للمفعول أي قاده الله إليه بالامتحانات الشبيهة بالسلاسل. فالنفوس الكريمة تقبل على الله لإحسانه والنفوس اللئيمة لا ترجع إليه إلا ببلائه وامتحانه.

الإمتحان والإبتلاء من الألفاظ المترادفة في المعنى، يبتلي الله تعالى عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، فالإبتلاء قد يكون لرفع درجاتهم وإعلاء ذكرهم ومضاعفة حسناتهم كما يفعل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والصلحاء من عباد الله، كما قال النبي: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. وتارة يفعل ذلك سبحانه بسبب المعاصي والذنوب، فتكون العقوبة معجلة كما قال سبحانه: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:٣٠]. والتعبير بالإمتحان أخص من الإبتلاء أن الإمتحان مختصة لرفع الدرجات ومضاعفة الحسنات وهذا، هو المعنى التي عبره ابن عطاء الله في الحكمة. بخلاف الأبتلاء أنه على المعاني كما تقدم.

٣. العنصر الصوري:

شبه القود بالسلاسل على سبيل الإستعارة.

٤. العنصر الإيقاعي:

التصحيف بالتشابه في الخط بين كلمتين فأكثر ((الإحسان ... الإمتحان).

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن بالهاء (على االله ... قيد إليه) (الإحسان ... الإمتحان).

التوازن مقطعي أو نبري ويشمل التعبير الفني مطلقا حيث تنتظم الأصوات في نظام نبري لا يتجاوز الحرفين أو الحرف ومداه الصوتي (بملاطفات الإحسان ... بسلاسل الإمتحان)

٥. العنصر البنائي:

نقل علي ابن عباد رضي الله عنه[٦٣] وإذا أراد الله تعالى أن يعز عبده ويرفعه إلى هذا المقام قطع عنه زمام الوهم والجزع وحرره من رق الطمع فقاده إليه بملاطفة الإحسان أو بسلاسل الامتحان كما أشار إلى ذلك بقوله من لم يقبل على الله بملاطفات الأحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان.

من نفائس الحكمة (من لم يقبل على **االله** بملاطفات الإحسان) أي بملاطفاته إياه بأنواع الإحسان (قيد إليه بسلاسل الامتحان) أي بالامتحانات والمصائب

---

[٦٣] الرندي، غيث المواهب، ٢٣٠.

الشبيهة بالسلاسل يعني أن المقتضي لإقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع إليه.

وجمعية القلب عليه أمران الأول إيراد النعم عليه فيشكر **الله** عليها ويقبل على خدمته**.** والثاني إنزال المصائب في بدنه وماله فيرجع إلى الرب ويتضرع إليه برفعها وربما كان ذلك سببا في ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه إليه طوعا أو كرها.

الحكمة الرابعة والستون

من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.

١. العنصر المعنوي:

الترتب أو الفعل وجوابه لإيفادة التعاقب على ما فعله (من لم يشكر النعم فقد تعرض) (ومن شكرها فقد قيدها بعقالها).

الإستدراك الحقيقي ويقصد به دفع التوهم وليس بالنفي الحقيقي (من لم يشكر النعم فقد تعرض)**.**

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى وهي على قسمين قسم من شكر وقسم من لايشكر.

التأكيد بالأداوات وتكرار الألفاظ (فقد)

التقابل بين المواقف والموضوعات بين من شكر وبين من لايشكر ويتم التقابل مباشرة يشار إلى الموضوعات الاتي يتقابلون بعضهم بعضا.

٢. العنصر اللفظي:

الشكر لغة فعل ينبىء عن تعظيم للتعم يبب ازوامه أما الشكر في الاصطلاح فهو صرف العيد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله من شكرها فقد قيدها بعقالها. هنا صورة تشبه النعم بالابل التي من شأنها الشفار من لم تقيد بالعقال. قال بعض الحكماء الشكر قيد للموجود رصيد للمفقود.

وهل الفرق بين الشكر والحمد، اختلف العلماء على قولين. القول الأول: أن الحمد والشكر بمعنى واحد وأنه ليس بينهما فرق واختار هذا ابن جرير الطبري وغيره. قال الطبري رحمه الله : " ومعنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الشكر خالصا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه .... "، ثم قال رحمه الله بعد ذلك: "ولا تَمانُع أي : اختلاف بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل : "الحمد لله شكرًا" بالصحة فقد تبيّن إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحا – أنّ الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يُقال : " الحمد لله شكرًا "[٦٤]. والقول الثاني: أن الحمد والشكر ليسا بمعنى واحد بل بينهما فروق. ومن تلك الفروق :

---

[٦٤] أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل القرآن المشهور بالتفسير المشهور بالتفسير الطبري*، (القاهرة، مكتبة ابن التيمية، الطبعة الثانية)، ١/١٣٥

١. أن الحمد يختص باللسان بخلاف الشكر فهو باللسان والقلب والجوارح.

٢. أن الحمد يكون في مقابل نعمة ويكون بدونها بخلاف الشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة.

قال ابن كثير رحمه الله[٦٥] في معرض رده على كلام ابن جرير السابق: "وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين: أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان. كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبا

٣. العنصر الصوري:

التشبيه بتشبيه النعم بالإبل التي شأنها النفار أن لم تقيد بالعقال على سبيل المكنية وإثبات العقال تخييل والتقييد ترشيح.

٤. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع المتنوعة بكونه لا تتوحد أصواته ضمن التفعيلات أو القرارات في النص بقدر ما تتنوع في هيكلها العام وتتوحد في أجزاء منها أي أنّ وحداتها الصوتيّة المنظمة تتنوع في جملة من الأصوات بالميم (النعم) والألف (لزوالها ... عقالها).

---

[٦٥] أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)*، (بيروت – لبنان دار الكتب العلمية)، ٢٠٢/١

التجانس بالعبارة المكررة المنتظمة (فقد).

توازن المفردة من حيث توازن الكلمتين (لزوالها ... عقالها) مع الزوم ما لايلزم.

٥. العنصر البنائي:

ومن أقبل على الله بملاطفة إحسانه وجب عليه شكر ما أسدي إليه من لطائف كرمه وأمتنانه وإلا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه وإلى ذلك أشار ابن عطاء الله بقوله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. ويعني أن شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى: ﴿لئن شَكَرْتم لأزيدَنَّكُم ﴾[إبراهيم: ٧] وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال االله تعالى: ﴿ إن اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بقَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١] أي إذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير االله مامنه من الإحسان والكرم والشكر إما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من االله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَما بكُمّ منّ نعْمَةٍ فمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] وإما باللسان بأن تتحدث بنعمة االله قالتعالى: ﴿ وَأما بنعْمَةِ ربّكَ فحَدثْ ﴾ [الضحى: ١١] وإما بالجوارح بأن تصرفها في طاعة االله وتكفها عما لا يرضيه.

الحكمة الخامسة والستون

خف من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" (سورة الأعراف، آية. ١٨٢).

١. العنصر المعنوي:

الارشاد بذكر التعبير الإنشائي بصياغ الأمر الذي يخرج من المعنى الأصل.

التفصيل والتقسيم بموضوعين مرتبطة فيما بينها من أمر مخفوف عنه (من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك).

التأكيد بالتكرير ضمير المخاطب دفعا عن غفلة السامع (إليك و إساءتك و لك).

التقابل بين شيئين متضادين (الإحسان والإساءة).

التنوع على سبيل التجاور بحيث يقف كل شيء إلى جانب الأخر اي من وجد في نفس الإحسان ودوم الإساءة من نوع الأية "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون".

الإيجاز القصر يكون بتضمين المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير حذف.

٢. العنصر اللفظي:

الإستدراج هو كمون المحنة في عين المنة وهو مأخوذ من درج الصبي أي أخذ في المشي شيئا بعد شيء ومنه الدرج الذي يرتقي عليه إلى العلو كذلك المستدرج هو الذي تؤخذ منه النعمة شيئا بعد شيء وهو لا يشعر.

وعلم، أن العطاء أعم من الإستدراج. وقال بعض الحكماء ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو بلية لينظر كيف صبره. وروى الإمام أحمد[٦٦] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فهذا الحديث يدل على أن العبد إذا كان يعمل المعاصي، فإن عطاء الله عز وجل له ما يحبه ويتمناه هو من باب الاستدراج. وأما إذا كان يعمل بطاعة الله عز وجل وشكره، فإن عطاء الله عز وجل له ليس من باب الاستدراج. فالحاصل العبارة بلاستدراج أحسن من العبارة بالعطاء.

٣. العنصر الإيقاعي:

الإيقاع المتنوع بحيث لا تتوحد أصواته ضمن التفعيلات أو القرارات في النص بقدر ماتتنوع في هيكلها العام وتتوحد في أجزاء منها، أي أنّ وحداتها الصوتيّة المنظمة تتنوّع في جملة من الأصوات بالهاء والكاف.

التجانس بالعبارة المطلقة من المشتقات (استدراجا و سنستدرجهم).

٤. العنصر البنائي:

---

[٦٦] علي محمد الصالخي، *الضوء المنير على التفسير*، (رياض، مكتبة دار السلام)، ٥/٣٣١

بعد أن قال ابن عطاء الله عن الشكر انتبه إن غفل العبد عن شكر ثم دامت صورتها عنده فلا يغتر فقد يكون ذلك أستدراجا كما أشار إلى ذلك في هذه الحكمة.

من نفائس الحكمة (خف من وجود إحسانه إليك ودوام) أي مع دوام (إساءتك معه) أي مخالفتك له (أن يكون ذلك استدراجا) أي: تدريجا شيئا فشيئا حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله حاصله إنا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه؟ فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من **الله** به قال تعالى: ﴿سَنسْتَدْرِجُهُم﴾ أي ندرجهم في ذلك شيئا فشيئا حتى نأخذهم بغتة ﴿ منْ حَيْثُ لاَ يَعْلمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] [القلم: ٤٤] أي أنه استدراج ومكر أي لا يشعرون بذلك لأنه يأخذهم بغتة وقيل: نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعم وحجبوا عن الشكر أخذوا وقيل: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة.

الحكمة السادسة و الستون

من جهل المريد أن يسيء الأدب؛ فتؤخر العقوبة عنه، فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد، وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد.

١. العنصر المعنوي:

تقديم الخبر عن المبتداء التي تتعلق بكائن أو استقر مقدرة لتنبيه أول الأمر على أنه خبر وتشوقا للمبتداء (من جهل المريد أن يسيء الأدب).

الإطناب بزيادة اللفظ على المعنى بطريق التذييل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها لفائدة التأكيد لمنطوق الأولى (فتؤخر العقوبة عنه).

الإطناب بطريق الإيغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (من حيث لايشعر).

الترتب أو الفعل وجوابه بذكر الشرط (لوكان) ويعاقبه الجواب (لقطع) والمطلون منه الجواب.

التكرار ويستفاد منه تأكيد الجملة على سبيل التعاقب (لقطع الإمداد ... فقد يقطع المدد) (وقد يقام مقام).

القصر وتخصيص الأمر بالنفي والاستثناء (ولو لم يكن إلا منع المزيد) (ولو لم يكن إلا أن يخليك).

التنوع بالتقسيم على طريق التكور ويقصد به أن تكون الأشياء المنقسمة إلى أجزاء يقف كل واحد منها قبالة الأجزاء الأخرى (فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد).

٢. العنصر اللفظي:

تؤخر العقوبة عنه أي لا يعاقب في ظاهره بالبلايا والأسقام ولا في باطنه بحسب زعمه. قطع الإمداد بكسر الهمزة مصدر أمد أو بفتحه جمع مدد وهو ما يرد من فضل الله.

أوجب الابعاد أي بعد المسيء عنه بعدم حضوره معه. فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر. هذا تعليل لما قبله أي الما كان ذلك من جهل المريد لأنه قد بقطع المدد عنه من حيث لا يشعر. ولو لم يكن إلا منع المزيد: أي لو لم يكن من قطع المدد عنه الا منع الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا في قطع الإمداد. فجواب الو محلوف.

وقد يقام مقام البعد: أي قد يقام ذلك المريد في منام البعد وهو لا يدري. ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد: اى ولو لم يكن من اقامته في مقام البعد الا أن يخليك أبها العبد المسيء وما تريد بأن يسلط عليك نفسك ويمنع نصرتك عليها لكن ذلك البعد فجواب الو محذوف أيضا. وفي هذا الأسلوب التفات من الغية إلى الحضور لابن عطاء الله يخاطب المريد وكأنه حاضر بين يديه وذلك لما صدر منه من سوء الأدب.

وأن الفروق بين المريد والسالك والمحب بين، أن المريد هو من يريد الله سبحانه وتعالى ويبحث عنه ويتقرب إليه بالنوافل والطاعات وجميع أنواع التقوى والمريد يبحث عن استاذ عارف. والسالك هو من سلك طريق المعرفة الى الله وثبت عليه فكل سالك محب وليس كل محب سالك. واما المحب فهو من تجلت

على قلبه بعض اثار نور الله على قلبه وهذا النور ان لم يحفظ ويصان يذهب فإذا اجتهد المحب في طريق المعرفة حفظ ذلك النور والا فلن تسمح النفس ببقاء ذلك النور الا ان أرغم نفسه على السلوك عندها يكون سالكا. والعبارة بالمريد عن السالك أو المحب تدل على معناه أن من أراد أن يسلك الطريقة لابد من الأستاذ الذي رب نفسه.

٣. العنصر الإيقاعي:

التوازن المطلق بالتوازن بين بنية الكلمة والجملة والفقرة إلى آخره (الإمداد ... الإبعاد) (المريد ... تريد).

رد العجز على الصدر بجعل أحد اللفظين أو الملحقين (لقطع الإمداد ... يقطع المدد).

التجانس بالعبارة المتكرّرة من نفس المشتقات (لو كان ... ولو لم يكن) حيث تنتظم نظام الأصوات بسهول نطقها.

الإيقاع المتنوع بحيث لا تتوحد أصواته ضمن التفعيلات أو القرارات في النص بقدر ماتتنوع في هيكلها العام وتتوحد في أجزاء منها، أي أنّ وحداتها الصوتيّة المنظمة تتنوّع في جملة من الأصوات بالباء والدال والياء.

الإيقاع الخارجي المتنوع حيث يقصد به التنظيم الصوتي للعبارات في المظهر الخارجي الذي تتحسّسه الأُذن.

٤. العنصر البنائي:

هذا الحكمة نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء أدب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية. فالعقوبة الجلية العقوبه بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب.

ومن نفائس الحكمة أن (من جهل المريد أن يسيء الأدب) إما مع **الله** تعالى كالاعتراض عليه وتعاطي التدبير معه والتضرر بأحكامه المؤلمة له في نفسه أو غيره وتصريح لسانه بالشكوى إلى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول إشاراتهم فيما يشيرون به عليه، (فتؤخر العقوبة عنه) بألا يعاقب في ظاهره بالبلايا والأسقام ولا في باطنه بحسب زعمه (فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد) الوارد علي من حضرة الحق (وأوجب الإبعاد) أي بعدي عنه بعدم حضوري معه وهذا لازم لما قبله (فقد) أي إنما كان ذلك من الجهل؛ لأنه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن) من قطع المدد عنه، (إلا منع المزيد) أي الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا في قطع الإمداد وقطعه مبدأ الحجاب فإذا ابتدأ به المريد ولم تتداركه رحمة **الله** تعالى في الحال إن ذلك موجب لسقوطه من عين **الله** ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الأنس بالوحشة (وقد يقام مقام) أي في مقام (البعد وهو لا يدري ولو لم يكن) من إقامته مقام البعد (إلا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط عليك نفسك ويمنع نصرتك عليها لكان ذلك كافيا في البعد فإن ذلك مبدأ للحجاب ومانع للقلب عن الدخول في حضرة الرب.